علم الاستراتيجية



الدكتور ألبير رحمة

علم الاستراتيجية

علوم سياسية وادارية

سنة ثالثة /فصل خامس



الدكتور البير رحمة

الفصل الأول

مفهوم وخصائص الإستراتيجية

القسم الاول :مفهوم الاستراتيجية

في البداية لا بد من تحديد مصطلح الاستراتيجية لتبديد اي لبس او تأويل حولها ، بحيث يمكن أن تكون الإستراتيجية "فن" كما هي علم وذلك أثناء تطبيقها وممارستها عملياً في الاشتقاق الروسي، وبشكل دقيق ، هناك تمييز مثلاً في المجال العسكري بين النظرية العسكرية و العمل العسكري:"كل قطاع ، وكل مستوى في الحقل العسكري له هذين الجانبين ، النظري والعملي". إن كل نشاط أو فعل يطبّق وفق القوانين ، والمبادئ والطرق ، وهذا الفعل أو النشاط يبرز أولاً من خلال النظرية . ثم يأتي الفعل والممارسة ليزيد من غنى النظرية . إذاً في "التخطيط الإستراتيجي" لابد من معرفة الكثير نظرياً من أجل الحصول على القليل عملياً.

يقول الإستراتيجي الصيني الشهير "Sun Tzu":

" **إن الأكثر تميزاً من القادة بيننا هم هؤلاء الأكثر حكمة و الأكثر استشرافاً و رؤية**". بعد عشرين قرناً من مقولته أتى القانون العسكري الياباني متأثراً بشكل عميق بهذه المقولة وفرض على العسكريين " العسكر يجب أن يعرفوا في نفس الوقت الفنون و النظريات العسكرية". ثم أتى "فريدريك الثاني " في أوربا ليؤكد أن "قراءة الأدب و الرسائل الجميلة هي ضرورية لهؤلاء الذين يعملون في الحياة العسكرية".

هناك ضرورة قصوى لقراءة الإستراتيجية "كعلم" من أجل الحصول على تطبيق عملي في غاية الكمال و الحصول على الإستراتيجية "كفن" في أرقى أشكالها . هنا يرى بعض الإستراتيجيين الفرنسيين:" النظرية التي تريد دائماً السير بشكل مزدوج مع التجربة فإنها ستسقط آنياً أو لاحقاً و ستهمل" . إذاً هنا نرى التركيز على المعرفة النظرية كسابقة على العمل التنفيذي وهذه من حقائق الفكر الإستراتيجي . و للإستراتيجية قواعدها كبقية العلوم والفنون ، وهي متغيرة ولكنها ثابتة في بعضها ، والجهل بقواعدها لابد أنه يقود إلى السقوط . هذا ما يؤكده أحد الإستراتيجيين الفرنسيين :" إن مراقبة المبادئ و معرفتها لا يكفي دائما للحصول على النصر،

ولكنها تخفف من وقع الهزيمة". (الجنرال Lewal). و يؤكد " كلوزويتز " : "النظرية هامة جداً لتكوين المنفذين أو الذين سيطبقونها ، حتى تصبح لديهم محاكمة جيدة وتخدمهم وتساندهم في كل خطوة ضرورية لإكمال مهمتهم". (من كتاب له ظهر في عام 1814،باريس).

النظرية إذا تهدف لتوضيح المحاكمة و تسهل عملية اتخاذ القرار:" إنها تلقي الضوء على مجموعة المواضيع وتعطي القدرة على معرفة الطريق ، وتبين العلاقات المتبادلة بين الأشياء ، وتفصل بين ما هو هام وما هو ثانوي". (من كتاب "الحرب" ، كلوزويتز ، باريس ، 1955).

الإستراتيجية هي في آن واحد كيمياء تحدث تحولاً جذرياً **وكيمياء كلاسيكية** قديمة. **كيمياء "جديدة"**جذرية يصل إليها الإنسان الشريف النبيل فقط و التي تتكون من التنظيم للمبادئ المستقرة الثابتة ومن منهج أو خطة أو معادلة من طرفين . كيمياء"قديمة" محصورة في قبضة مجموعة من الأتباع أو الأنصار حيث لديهم القدرة على تحقيق تحولات وتغيرات ليست في متناول الجميع في عمقها وإدراكها . ولدى العديد من الإستراتيجيين، **الإستراتيجية المنهجية** يمكن الحصول عليها ومعرفتها من خلال التجربة بالتأكيد ، ولكن أيضاً من خلال الدراسة وكما يعبر عن ذلك " كارل بوبير" :" العلم ليس إلا معنى مشتركاً واضحاً".

البند الاول : أصل المصطلح أو الاشتقاق

ان مصطلح الاستراتيجية يعد من المصطلحات القديمة المأخوذ من الكلمة الإغريقية Strato وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتقت اليونانية القديمة مصطلح Strategos وتعني فن إدارة وقيادة الحروب .

يعود أصل الكلمة إلى التعبير العسكري ولكنها الآن تستخدم بكثرة في سياقات مختلفة مثل استراتيجيات السياسة ، الادارة ،الاقتصاد ،العمل واستراتيجيات التسويق الخ **.....**

إذا انطلقنا من التحليل الكلاسيكي للمصطلحات، نجد أن مفهوم أو مصطلح الإستراتيجية يوجد في مختلف اللغات الأوربية أو اللغات الإغريقية/اللاتينية . ففي الألمانية نجد strategie ، وفي الروسية strategija وفي الهنغارية strategi . وعندما نقول (stratos agein) فهو مصطلح الإستراتيجية ذاته مقسم إلى جزئين ويعني " الجيش الذي ندفع به إلى الأمام". وبوصل طرفي المصطلح stratos و agein نحصل على strategos وهذا يعني " الجنرال "، وفعل strategô يعني قاد أو أمر، أما الصفة منها strategikos و التي تجمع

strategika فهي تعني وظائف و أعمال الجنرال بالمفهوم العسكري للكلمة ، وتعني الصفات التي يمتلكها الجنرال[1] . الإستراتيجية إذا هي فن القيادة للجيش أو بشكل أشمل هي فن القيادة .

هناك فرضية أخرى حول أصل الاشتقاق في جذوره الأولى . عندما نقول stratos فهذا لا يعني الجيش أو الجيوش بشكل عام ، بل يعني الجيش الذي يعسكر في منطقة ما ويكون في حالة حرب . الإستراتيجية في الواقع لا تحدد في حالة صراع واحدة . فكلمة stratos تتعلق بكلمة أخرى وهي أكثر قوة في المعنى :
(gia) تعني الأرض، أما (agein) فهي تعني الدفع إلى الأمام . هذه الفرضية الأخيرة هي الأكثر واقعية عند الكثير من مؤرخي العلوم الإستراتيجية . ربما لأن هذا الاقتراح في التحليل يشير إلى أن الإستراتيجية ليست شيئاً "ساكناً" بل هي مرتبطة " بالحركة".

كلمة strategia أيضا خرجت من نفس الجذر ككلمة strategema و التي خرجت منها كلمة stratagème ولكن المارشال De Puységur (القرن الثامن عشر) يرى أن :" هذه الكلمة الأخيرة كان لها معنى آخر في اللاتينية لم يكن في الفرنسية : حيث تعني في اللاتينية الحيلة أو الخديعة أو الوسيلة في الحرب" . (Hervé Coutau Bégarie) . لكن stratagème (الوسيلة أو الخديعة الحربية) ليست فقط خديعة أو حيلة ، بل هي فعل عقلي ذكي يتمتع به "الجنرال" . ففي عالم الحروب و الصراعات التي يسيطر عليها بالقوة ، الإستراتيجية هي ترجمة حقيقية لهذا الفعل الذكي للعقل.

البند الثانى : التحديد الحالى للاستراتيجية (الواقعى)

ان حداثة فن الإستراتيجية والتطور السريع الذي لحق مفهوم هذا الفن كنتيجة حتمية للتطور الهائل الذي شهدته المعارف والتقنية العسكرية قد وسع مجاله ومداه بحيث أصبح لكل وضع أو مجال سياسي أو اقتصادي أو عسكري أو اجتماعي إستراتيجية خاصةً مما يجعل من العسير إيضاح معنى الإستراتيجية بكلمة أو ببعض كلمات .

[1] – L.Wheeler, « stratagem and the vocabulary of military trickery », Leyde, Brill, Mnemosyne supplement 108, 1988, P. 3.

لقد قسمت المدرسة الشرقية الفن العسكري إلى إستراتيجية وفن عمليات وتخطيط ، وقسمه الجنرال أندريه بوفر إلى إستراتيجية وتخطيط وشؤون إدارية. تعريف الاستراتيجية عرف كلازوتز Clausewitz الإستراتيجية بأنها **فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب .**

وعرفها مولتكه Helmuth von Moltke بانها **اجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد للوصول إلى الهدف المطلوب** .

بينما عرفها ليدل هارت Liddell Hartبانها **فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة** .

أما الجنرال باتلر Butler فقد عرفها بانها **فن تعبئة وتوجيه موارد الامة** أو مجموعة من الأمم _بما فيها القوات المسلحة_لدعم وحماية مصالحها من اعداءها الفعليين أو المحتمليين .

في حين يعرفها الجنرال اندريه بوفر بأنها **فن حوار الارادات تستخدم القوة لحل خلافاتها** .

وتعكس هذه التعريفات المختلفة ، التباين بين مفاهيم اصحابها لمعنى الإستراتيجية ومداها ووسائلها مما يوحي بأن مفهوم هذه الكلمة أو الاصطلاح لم يتبلور بعد في أذهان رواد الإستراتيجية ومفكريها .

بشكلٍ عام ، الاستراتيجية هي فن القيادة في الحرب الشاملة على مستوى الدولة ، حيث تنسّق الخطط العسكرية مع الخطط الاقتصادية والإعلامية والسياسية، وتوصف بأنها الخطّة العامّة لحملة عسكريّة كاملة ، والاستراتيجيّة من الناحية السياسيّة هي تحديد الأهداف ، وتحديد القوة الضاربة ، وتحديد الاتّجاه الرئيسي للحركة .

تهدف الاستراتيجية في مجملها إلى تقدير الحسابات والمعطيات معتمدة على الواقع الحالي

(**واقعنا، وواقع الخصم**) ساعية لاختيار المنطلقات المستقبليّة على ضوء الإمكانات المتوفّرة مستكشفة الأساليب التي تزيد من قوّتها الذاتيّة بما يحقّق الاستخدام الأمثل الذي يؤمّن الوصول للأهداف الكليّة ، بما يجاور النقاط التالية :

- استخدمت لفظة الاستراتيجية لتعني علم أو فن استخدام كافة موارد أمّة أو تحالف أمم لتحقيق أهداف الحرب .
- هي علم وفن وضع الخطط العامّة المدروسة بعناية، والمصمّمة بشكل متكامل ومتفاعل ومنسّق لاستخدام الموارد مختلف أشكال الثروة والقوّة لتحقيق الأهداف الكبرى.
- فن القيادة في الحرب الشاملة على مستوى الدولة، حيث تنسّق الخطط العسكرية مع الخطط الاقتصادية والإعلامية والسياسية ، وتوصف بأنها الخطّة العامّة لحملة عسكريّة كاملة، والاستراتيجيّة من الناحية السياسيّة هي تحديد الأهداف ، وتحديد القوة الضاربة ، وتحديد الاتّجاه الرئيسي للحركة .

إذاً:

الإستراتيجية ليست أمراً صعباً هي ببساطة :

- **أن تعرف أين أنت**
- **وأين تريد أن تذهب**
- **وأن تكون لديك فكرة عن كيفية التحرك من مكانك إلى حيث تريد أن تكون**

فالمشكلة تكمن في :

- **أين أنت فعلاً وأين تريد أن تذهب فعلاً**
- **وما أفضل الطرق لكي تنتقل من حيث أنت إلى حيث تريد**

بالنهاية ، **الاستراتيجية** هي مصطلح عسكري بالأساس وتعني الخطة الحربية ، وهي كذلك فن التخطيط للعمليات العسكرية قبل نشوب الحروب ، وفي نفس الوقت فن إدارة تلك العمليات عقب نشوب الحروب.

وتعكس الإستراتيجية الخطط المحددة مُسبقاً لتحقيق هدف معين على المدى البعيد في ضوء الإمكانيات المتاحة أو التي يمكن الحصول عليها.

الاستراتيجية بالنقل الحرفي للكلمة الإنجليزيةStrategy ، هي خطط أو طرق توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد اعتماداً على التخطيطات والإجراءات الأمنية في استخدام المصادر المتوفرة في المدى القصير

الاستراتيجية بحسب ما يعرفها القاموس السياسي هي ، علم القيادة العامة في الحرب ، أي جميع التدابير اللازمة لتحقيق النصر ، وهي لا تقتصر على كسب معركة في ميدانها بل تشمل الخطة العامة لكسب الحرب فتعمل على كل ما من شأنه القضاء على الروح المعنوية للعدو وزلزلة اقتصادياته بتخريب مراكز الانتاج الحربي والمدني على السواء وتعويق خططه العسكرية بتدمير شبكات مواصلاته ، فمن ثم كان نجاح الاستراتيجية في الحروب الحديثة الشاملة تستلزم تعاون جميع أسلحة الجيش وقد كان لاستخدام السلاح الجوي لاسيما قاذفات القنابل ثم الغواصات والترسانة الفضائية المتطورة من العوامل الهامة في الاستراتيجية العسكرية المعاصرة ، فضلاً عن التهديد اليوم باستخدام الاسلحة النووية .

ويطلق اسم "مواد استراتيجية " على جميع الخامات التي تدخل في تنفيذ العمليات الحربية وتساعد على كسب الحرب وهي تضم اليوم المئات من المواد الخام والمصنوعة ، خاصةً البترول ومشتقاته .

ويطلق اسم "مراكز استراتيجية " على المواقع ذات الاهمية العسكرية في كسب المعارك سواء في الحرب الدفاعية او الهجومية وان اختيار القواعد العسكرية التي تقيمها بعض الدول الكبرى في أراضٍ أجنبية يقوم على الأهمية الاستراتيجية لهذه المواقع في ضوء تطورات أساليب (تكنولوجيا متطورة جديدة)الحرب الحديثة.

البند الثالث : نشأة وتكوّن الاستراتيجية

تعتبر الحرب واحدة من الظواهر الحتمية في حياة الإنسان، واكبت مسيرته على هذه الأرض وكانت معلماً بارزاً في تاريخه الطويل . و لأن الحرب كذلك فقد استحوذت ـ كسواها من فروع المعرفة الإنسانية- على اهتمام كثيرمن المفكرين والدارسين الذين حاولو الوصول إلى استنتاجات ومبادئ وقوانين عامة لهذه الظاهرة المعقدة من خلال الدراسة المقارنة لتجارب الحروب الإنسانية على مختلف انماطها .

وظهرت بواكير المؤلفات في هذا المجال قبل أكثر من ستة وعشرين قرناً على يد بعض العسكريين الصينيين تلتها مؤلفات أخرى لعسكريين ومفكرين اغريق ورومان وعرب وأوروبيين تناولت جميعها بعض المفاهيم والمبادئ الأساسية والتفصيلية للحرب . مما نتج عنه نشوء فرع جديد من فروع المعرفة الإنسانية اصطلح على تسميته ، الفن العسكري أو الفن الحربي الخ .

وكنتيجة حتمية للتطور والتوسع الهائل في مجال المعرفة العسكرية قسم الفن العسكري إلى مستويات ثلاثة رئيسيه هي : 1- الإستراتيجية العليا أو الشاملة . 2- الإستراتيجية العسكرية . 3- التخطيط . غير ان هذا التقسيم الذي اعتمدته المدرسة العسكرية الغربية تقريباً لم يطابق تماماً ما اعتمدته المدرسة العسكرية الشرقية وبعض مفكري المدرسة الأولى الذين اعتمدوا تقسيمات أخرى لا تختلف عن التقسيم الآنف الذكرفي المضمون وان اختلفت في الشكل .

لقد ظهرت في أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد وظيفة ما يمكن أن نسميه المخطّط الإستراتيجي أو الحربي stratège . حيث "القبائل" تختار عشر " استراتيجيين" أو مخططين . يؤسسون مدرسة ويستطيع أحدهم من داخلها أن يفرض نفسه على الآخرين المتبقين . لكن جميع الأعضاء في هذه المدرسة لديهم الإمكانية في قيادة الجيش أو جزءاً منه ، فاستراتيجي من بينهم يقود الجنود المسلحين في المناطق الريفية ، وآخر مكلف بالدفاع عن الإقليم أو الدولة ، واثنان آخران مهمتهما الدفاع عن الشواطئ ، أما الخامس يهتم بتسليح الأسطول ، والخمسة الآخرون يكون لديهم أعمال متعددة ومتغيّرة . بعد الاسكندر الأكبر، تبدلت مدرسة الإستراتيجيين وتغيرت في المملكة الهيلينية ، ولكن هذا التبدل نحو التوسع على كافة أراضي المملكة مع ضعف في الأهمية لهذه المدرسة . ومع أن وظيفة الإستراتيجي يبدو أنها أصبحت مؤمنة ومضمونة ، لكن فكرة الإستراتيجية بقيت غامضة.

إن كلمة strategema التي ظهرت في الربع الثاني من القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنها وجدت ولمرة واحدة عند Xénophon ، أما تعريفها الحقيقي أتى فيما بعد على يد الحكيم المسيحي Alexandrie Clément في

القرن الثاني للميلاد . وتقريباً في نفس العصر ظهرت كلمة strategika على يد Demetrois de Phalère . المصطلحان مرادفان لكلمات أخرى ، من غير أن يشير المعنى إلى الخداع و الحيلة ، ولكن رغم ذلك يبقى المعنى الأكثر تداولاً وقتها هو ما يشير إلى الحيلة و الوسيلة والخداع . لكن المصطلحين السابقين لا نجدهما لا عند "هيرودوت" و لا عند " ثوسيدس". ولكن ابتداء من مؤرخي القرن الأول قبل بدأت الميلاد كلمة strategema ترتبط بفكرة الحيلة والوسيلة والخداع في المعركة ، بينما كلمة strategika كان معناها مرتبط بوظيفة ومكتب "الجنرال". أما الفعل strategeo حصل على معنى أكثر دقة، فعند Onosander تعني تماماً " ناوَرَ" من المناورة .

ضمن هذا الوضع لجأ الرومان إلى " لَتْينة" المفهومين (لتينة: أعطى كلمة غير لاتينية صيغة لاتينية). حيث تحدث " شيشرون" عن strategema في رسالة مؤرخة في العاشر من أيار سنة الواحد والخمسين قبل الميلاد، أما هذا المصطلح حلّ تدريجياً مكان معناه اللاتيني المنافس له(sollertia ,ars ,astutia, dolus). ولكن حتى نحافظ على الجانب العلمي للموضوع لا بد من القول أن الرومان تحدثوا عن العلوم العسكرية أو عن علم الأشياء العسكرية (scientia rie militaris) و الذي يتضمن الإستراتيجية.

ان المنظرون الإستراتيجيون البيزنطيون ، والذين كانوا ناشطين حتى القرن الخامس بعد الميلاد ،عرّفوا strategos أو stratège ليكون " الاسم الذي يعطى لمن يكون في المكان الأول في الجيش ، والذي يكون رئيسه" . أما الكاتب Syrianos عرّف في أحد فصول دراسته في القرن السادس الميلادي تحت عنوان Peri strategikes أو الإستراتيجية . بعد ذلك عرِف مصطلح الإستراتيجية الكثير من التراجع في العصر الهيليني، وأصبح الإستراتيجي هو قائد ضمن الإقليم ، قبل أن يترك المكان بمعنى آخر وهو " الدوق" . مع ذلك مصطلح الإستراتيجية بقي له بعض الاهتمام ، حيث ساعد مع مصطلح " التكتيك" Taktika لعودة بعض الروح للفن العسكري.

بعيداً عن العالم الروماني و اليوناني ، لا نجد مفاهيم معادلة لمصطلح الإستراتيجية ،حتى في المجتمعات التي كان لها عمقاً وتجربةً كبيرة بالفن العسكري . الاستثناء الوحيد كان في الصين مع الاستراتيجي الصيني الشهير Sun Tzu (القرن الخامس ق.م.) ، و الذي وضع (bing-fa)، وقد عمد المترجمون المعاصرون لترجمته بالإستراتيجية ، وإن كان يعني هذا المصطلح مفهوماً أوسع من مفهوم الطرق العسكرية أو فن الحرب . وتحليل

هذا المفهوم يرتكز على "الطرق"، ويوجه نقاشه و تحليله إلى من سيقود جيشا أو حملة ، وبهذا المعنى يمكن القول إن ما يتحدث عنه Sun Tzu هو الإستراتيجية بعينها .

في نفس العصر، كان المشرعون يطرحون وبكل وضوح العلاقة ما بين الحرب والسياسة:" أن يصبح ملكاً محترماً ، لديه أرضاً واسعة ، وحاكماً للعالم ، أو أن يكون ضعيفاً أرضه محتلة ويفقد سلطته ، كل ذلك يتم تقريره بالحرب . منذ القدم وحتى أيامنا هذه ، ليس لدينا أي مثل أو نموذج على أحد أصبح قائداً للعالم من غير الانتصار بالحروب أو بالحصول على السلطة من غير منازع"[1]. إذا كنا لا نستطيع أن نحصل على مفردة معادلة لكلمة الإستراتيجية في الصين القديمة ، هذا يعود إلى أن طريقة التفكير الصينية تختلف عما هو عليه الحال في العالم الغربي أو غيره ، ولكن (فن الجنرال،تحضير الخطط،تحليل الحالات و الأزمات،الطرق) هي موجودة بالفكر الصيني ولم توضع فقط بشكل عملي في الحروب وغيرها ولكن لها نظرياتها ومنظروها.
منذ القرن الثامن عشر ، تمّت عودة و نهوض مفهوم كلمة الإستراتيجية وكل تحولاتها بحيث يمكن رصدها وملاحظتها من خلال مراحل عدة . **الأميرال Mathey** يرى أن عودة المصطلح **كانت من الإنكليز** من خلال استخدام كلمة stratège في كتاب Oceana لمؤلفه Harrington عام 1656، ولكن بكل بساطة هذا يعني عودة الكلمة اللاتينية strategns . مصطلح strategy في الإنكليزية ظهر عام 1688 في كتاب Geography لمؤلفه Morden ، ولكن ضمن معنى إدارة مقاطعة أو إقليم ، لم تأخذ أي معنى عسكري حتى عام 1810 وذلك في الطبعة الثالثة للقاموس Military Dictionary لصاحبه James ، في نفس السنة ظهر اللفظ strategically في الإنكليزية . على الجانب الآخر نجد أن هذه الكلمة لم تظهر في كتاب ميكيافلي ، ولكنها ظهرت في كتاب Francesco Patrizi وهو " Paralleli militari" وذلك في عام 1594 حيث يقول في كتابه:" العسكري يجب أن يتعلم مهنته في كتب عن التكتيك والإستراتيجية والميكانيك...". في كل الاحوال ، هذا المصطلح أو المفهوم سيختفي فيما بعد من اللغة الإيطالية . ثم لن يحظى مصطلح الإستراتيجية بقدر كبير من النجاح في أوربا الشمالية ، إلا عندما ، وفي نفس العصر، Jean de Nassau يقترح تقسيم الآداب العسكرية الرومانية إلى ثلاثة أقسام رئيسة: strategetica,tactica,poliorcetica .

في الواقع إن **اللغة الفرنسية** ومن دون شك أعادت إدخال مفهوم الإستراتيجية في اللغة الحديثة . فالمفهوم أو كلمة إستراتيجية استعملت سابقاً في القرن السادس عشر من أجل الإشارة إلى إدارة عسكرية في إقليم أو مقاطعة

---

[1] - Guang Zi, « les sept méthodes du gouvernement », cité dans Xu Zhen Zhou (l'Art de la politique chez légistes chinois », Paris, Economica 1995, P.229.

وذلك عند الرومان . في عام 1721 قاموس Trévoux يعيد كلمة الإستراتيجي للإشارة إلى " قيادة الكتائب والجماعات عند اليونانيين". في كلتا الحالتين وكما هو الحال في الإنكليزية ، لم يكن المفهوم أو المصطلح" الإستراتيجية" مصطلحاً قديماً ، لم تمسه أي تغيرات أو تحولات . في قاموس Trévoux يشرح كلمة stratagème :" حيلة أو وسيلة عسكرية تستخدم في الحروب من أجل مفاجأة أو خداع العدو". القاموس اللاتيني لمؤلفه Du Cange يعد ويحصي أكثر من اشتقاقstratigotus stratigus, straticus, strategus . أما قاموس Estienne يعرف كلمة strategus بأنها رئيس الجيش.

وفي النهاية ان القاموس العالمي لمؤلفه Moreri لا يذكر شيئا عن الإستراتيجية.

---1

البند الرابع : الإستراتيجي العملي و الإستراتيجي النظري

إنه أمر واقعي و حقيقي القول بأن الانصهار الكامل بين النظري و العملي هو أمر نادر . فالعديد من القواد العس كريين كتبوا عن ذلك ." تورين" ترك العديد من المذكرات ، أيضا خصمه "مونتي توكلي" حرر العديد من المحاولات حول فن الحرب ونابليون ، وخاصة في منفاه الطويل ، ألّف ملخصات عن الحروب و إجراءاتها الطويلة و المعقدة . ولكن هذه الأعمال من النادر أن يكون لها قيمة نظرية استثنائية . على العكس من هؤلاء المحاربين ، المنظرون لم يكن له بريقاً أو لمعاناً في ميادين الصراع أو في كبرى قيادات المعارك. والأعظم من بين هؤلاء Clausewitz ، كان له وفق ما يقول "ريمون أرون" : " عملاً ومهنة في غاية اللمعان و البريق" [1]، ودوره في القيادة العسكرية البروسية خلال حملة عام 1815 كان متنازع عليه وخاضع للكثير من الجدل.

ويبقى هنا السؤال الأهم : هل من الواجب الحصول أو التمتع بمعرفة عملية من أجل الوصول إلى المعرفة النظرية؟ هذا السؤال أحدث جدلاً واسعاً من غير نهاية . فمنذ القرن الثامن عشر، المارشال Puységur دافع عن أن نظرية قيادة المعركة هي مستقلة وموجودة بشكل مستقل عن الشكل العملي حيث يقول:"ليس من الضروري أن تكون في قلب الجيوش حتى تكون في قلب هذا الفن"[2] . وعلى العكس من هذا الطرح، الكاتب "المغمور" - ماركيز دو فوكيير- يعتبر أن المؤرخ لا يستطيع أن يعلم "الفن العظيم للقيادة والنصر" حيث يفتقد في الغالب إلى "معرفة الحركة المفاجئة والخفيفة جداً ، وإلى الاختلافات في الحالات داخل الميدان أو في المعركة أو حتى داخل الجيش . الجنرال البارع والقادر هو الذي يرى بنظرة واحدة كل الاختلافات في الميدان

---

[1] - Raymond ARON, « Penser la guerre, Clausewitz », tom I, l’âge européen, Paris, Gallimard 1976, P.31.
[2] – Maréchal de PUYSEGUR, « Art de la guerre par principes et par règles », Paris, chez C.A. Jombert 1748 ?P.26.

، ولكن في عملية وصف هذا الفن أو المادة ، المؤرخ الذي لا يقاد أو يوجه من قبل هؤلاء الخبراء في ميادين المعركة لن يكون قادرا نهائيا وبنفسه يراقب هذه الاختلافات"[3].

دون شك ، الإستراتيجية كانت إحدى الميادين المنتخبة للتمييز عند Ernst Jünger بين إنسان المعرفة و إنسان القوة . الأجواء مختلفة ، و أيضا نماذج التوظيف . الإستراتيجي (ذلك الذي يفكر) يجب أن يفكر بكل شيء وشمولياً ، بينما الإستراتيجي (ذلك الذي يفعل و يتصرف) يجب أن يفكر بشكل موضعي محلي. الأول لا يعمل إلا وفق منطق البرهان أو الاستدلال ، يعمل بهدوء في مكتبه و لديه الوقت ليفكر، الثاني مجبر أن يتصرف في لحظة وفق قاعدة من المعطيات و المعلومات غير كافية ولا أكيدة ، إنه خاضع لضغط كبير . أكد ذلك سابقا المارشال Schaumburg -Lippe :" الحرب هي نظرية ولكن لا تكون كذلك إلاّ في المكاتب . كل جوانبها خاضعة للبراهين ومعظم العمليات تعتمد على التأمل والتفكير والحسابات ، ولكن عملياً ، الصدفة هي التي تقرر وخاصة في الميدان ، وهذا يعني التصرف مع هذا الجانب كما يكون في حقل المعركة حيث ما نريده نقرره حالاً"[1]. هذا التفاوت و الاختلال لا يمكن تجنبه . ان علم الإستراتيجية ليس إلا مرحلة تحضيرية في خدمة فن الإستراتيجية . ووفق التعبير الجميل لصاحبه Julien Freund :" من أجل القرار، المعرفة عامل مساعد يجعل القرار أشد تأثيراً ، ولكن المعرفة ليست هي العنصر الأساسي التكويني والجوهري"[2] ،" إن النظرية أو المذهب الأفضل ليس ذلك المبني بشكل أفضل نظرياً أو منهجياً ، بل ذلك الذي يؤدي إلى النصر"[3].

القسم الثاني : خصائص ومبادئ ومعايير الاستراتيجية

البند الاول : خصائص واهداف الاستراتيجية

أ – الاهداف :

تهدف الإستراتيجية إلى تحقيق هدف السياسة عن طريق الاستخدام الأمثل لكافة الإمكانات والوسائل المتوفرة . وتختلف الاهداف من سياسة لأخرى ومن إستراتيجية لأخرى . فقد لا يتحقق الهدف الا باتباع أسلوب هجومي لاحتلال اراضي الغير أو فرض شروط معينة عليه أو باتباع

[3] – Mémoires de M. le marquis de Feuquière, London, chez Pierre Dunoyer 1736 ? PP. VII-VIII.

أسلوب دفاعي لحماية أرض الوطن ومصالح وقيم الامة مثلاً . وقد يكون الهدف سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو معنوياً وقد يكون صغيراً محدوداً كاحتلال جزء من أرض دولة ما اوكبيراً كالقضاء على كيان تلك الدولة نهائياً.

غير ان جميع الاهداف تشترك في كونها جميعاً الهدف النهائي الذي عين وحدد سلفاً من قبل السلطة السياسية العليا أو الوسيط المؤدي اليه حتماً.

وقد يكون من الضروري أحياناً للوصول إلى الهدف النهائي للسياسة تحديد تحقيق عدد من الاهداف المرحلية التي يؤدي تحقيقها إلى أحداث تغييرات حادة هامة في الموقف المحدد أو إلى توجيه الوضع باتجاه يؤدي حتماً إلى الهدف النهائي ، وهذه الأهداف هي ما يسمى بالاهداف الإستراتيجية.

ب – الخصائص :

لقد تميزت الإستراتيجية بأنها شـاملة ومحدودة أو مرحلية ومن حيث طريقة الوصول للهدف ، اذ نكتفي بإيجاز اهم هذه الخصائص بشكل عام كما يلي :

1 - الشمول: عليها أن تراعي النظرة الشاملة للموقف ، ثم تضع ما يناسبه من أهداف ومقوّمات ووسائل .

2 - التكامل: تتكامل كل جزئيّات الموقف والأجهزة القائمة مع بعضها في تجانس نوعيّ نحو نفس الهدف .

3 - المرونة: تجنّب وتلافي الجمود = عرضة للتغييرات .

4 - الكفاءة: الاستخدام الأمثل للإمكانيّات والكفاءات .

5 - التطوّر: يجب تطوير الاستراتيجيّة بتطوّر وتغيّر الظروف .

البند الثاني :مبادئ الإستراتيجية

حاول العديد من المفكربن وضع عدد من المبادئ الإستراتيجية العامة فكان اختيارهم في وضع هذه المبادئ أكثر من اختلافهم في تعريف الإستراتيجية كما اتضح سابقاً . والسبب الرئيسي في ذلك الاختلاف هو ان الإستراتيجية ليست فكرة محددة المعالم جلية السمات ولكنها كما يقول بوفر (أسلوب تفكير). فلكل موقف إستراتيجية تلائمه ولكل دولة إستراتيجية تناسبها وتتلائم مع ظروفها وقد يكون اختيار هذه الإستراتيجية أو تلك صائباً في زمان أو مكان معيّنين وغير صائب في زمان أو مكان آخر فالإستراتيجية تتأثر بعوامل الزمان والمكان وبعقلية المخططين وظروف العصر وتقنيته وغير ذلك من العوامل .

ان المبادئ الاساسية للإستراتيجية بحسب المخططون والمفكرون وغيرهم هي:

طلامز فتز Talamas Vates قد حددها بثلاث مبادئ على الشكل التالي :

1- تجميع القوى .

2- عمل القوى ضد القوى .

3- الحل الحاسم عن طريق المعركة في الحقل الرئيسي.

ليدل هارت Liddell Hart قدم ثمانية مبادئ رئيسية هي:

1- مقابلة الهدف مع الإمكانات .

2- متابعة الجهد وعدم اضاعة الهدف .

3- اختيار الخط الاقل توقعاً .

4- استثمار خط المقاومة الاضعف .

5- اختيار خط عمليات يؤدي إلى اهداف متناوبة .

6- المرونة في المخطط والتشكيل بحيث يتلاءمان مع الظروف .

7- عدم الزج بكافة الإمكانات اذا كان العدو محترساً .

8- عدم تسديد الهجوم على نفس الخط أو بنفس الطريقة .

ماوتسي تونغ Mao Tse Tung فقد حدد للإستراتيجية ستة مبادئ تختلف في كثير عن سابقاتها وهي :

1- الانسحاب امام تقدم العدو انسحابات متجهة نحو المركز .

2- التقدم امام العدو المتراجع .

3- إستراتيجية واحدة ضد خمسة .

4- التموين من تموينات العدو نفسه .

5- تخطيط خمسة ضد واحد .

6- تلاحم تام بين الجيش والشعب .

لبينين وستالين وضعا ثلاث مبادئ رئيسية هي :

1- تلاحم معنوي بين الجيش والشعب في حرب شاملة .

2- اهمية حاسمة للمؤخرات .

3- ضرورة القيام باعدادات نفسية قبل البدء بالعمل العنيف .

المخططون الأمريكيون فقد استوحوا من ظروفهم في ظل أوضاع التوازن النووي في العالم مبدأين فقط هما:

1- ردع متدرج.

2- ردع مرن

المارشال Marmont:

نحن نكتشف مبدأ ثم نبحث فيما بعد عن أفضل وسيلة للوصول إليه أو تطبيقه . المبادئ تكون معروفة ، لكن العبقرية في تطبيقها وهنا يكمن فن الحرب .

وحددت المدرسة العسكرية الفرنسية مبدأين مغايرين وان كانا شاملين هما :

1- الاقتصاد والقوة.

2- حرية العمل

ولو حاولنا استعراض آراء القادة والمخططين البحريين في مبادئ الإستراتيجية لوجدنا ان أمير البحر الأمريكي ماهان قد جعل السيطرة على البحار هي المبدأ الرئيسي في الحصول على نتيجة حاسمة . ومن خلال استعراضنا للمبادئ الموضوعة للإستراتيجية نلمح بالإضافة إلى تباينها تأثر واضعيها بظروف بلادهم وعقائدها وقيمها العسكرية الموروثة . وتأثر بعضهم بالأوضاع الخاصة التي واجهت كفاح بلادهم.

فنجد ان كلاوزفتز وهو العسكري الألماني يعبر من خلال مبادئه عن روح العسكرية الألمانية العنيفة في حين عبرت مبادئ ليدل هارت عي افكاره التي آمن بها في أفضلية السبل غير المباشرة وانها الطريقة الأمثل للوصول إلى الهدف دون الاضطرار لمواجهة الخصم وجها لوجه وتكبد الخسائر لا مبرر لها للحصول على ذات النتيجة وهو يعكس بذلك العقلية الإنجليزية المجبولة على الحرص والتي تسعى لحصول على الكثير باقل الخسائر ولو اقتضى ذلك شيء من الاناة وكثير من الحيلة والدهاء.

اما مبادئ ماوتسي تونغ فقد تنكب فيها هدى افكار قدماء العسكريين والمفكرين الصينيين امثال (صن تسو) وعكستفي ذات الوقت ظروف الصين وتجاربها الذاتية كبلد واسع ضخم ذو إمكانيات بشرية هائلة وإمكانيات تقنية محدودة وشعب عرف بالصبر والنفس الطويل والتراجع امام جذوة هجمات الخصوم بانتظار الفرص السانحة للرد.

ويمكننا القول بذات الراي بالنسبة للمبادئ الروسية التي استمدها واضعوها من تجارب الروس الذاتية ومن عقيدتهم العسكرية التي تناسب الظروف الخاصة لتلك البلاد الشاسعة التي طالما اعيت

الخصوم وامتصت زخمهم وعنفوانهم قبل ان ترد عليهم الكرة . وكان للقوى الشعبية اثر لا يقل عن اثر القوى العسكرية في الدفاع عن الأرض الروسية.

اما المبادئ الأمريكية فهي ذات المبادئ التي طبقها القادة الأمريكيون في العقود الأخيرة وهي أكثر ملاءمة للإستراتيجية الذرية من الإستراتيجية التقليدية.

والحقيقة ان المبادئ آنفة الذكر يمكن اعتبارها افكار لحالات وأوضاع خاصة ولا تشكل قوانين عامة يمكن تطبيقها بمجملها في جميع الظروف وعلى كافة الظروف وعلى كافة الحالات وهذا هو التفسير الحقيقي لاختلافها وتنوعها الا انه يمكن الخروج بالقول بانه ثمة عنصرين مشتركين بين كافة تلك المبادئ هما **ضرورة اختيار النقطة الحاسمة الواجب الوصول إليها** والتي تؤدي إلى زعزعة الخصم وانهياره **واختيار المناورة التحضيرية الصالحة للوصول إلى تلك النقطة** ، اي تحديد مكان الوخز واختيار الابرة الصالحة للقيام بعملية الوخز .

ـ كيف يمكن التحقق من المبادئ ؟

إن مسيرة التحقق والتعرف على مبادئ الإستراتيجية أنتجت لنا أدباً إستراتيجياً خاصاً وضخماً. فمثلاً الجنرال والإستراتيجي الشهير Foch (1851- 1929) يشير في العديد من كتاباته إلى "المبدأ السامي أو الأرقى" وهو **ـ اقتصاد القوى ـ** ويضيف عليه مبدأ آخرا يرى فيه أنه مطلقاً وهو **ـ حرية الفعل والتصرف ـ** وهذا المبدأ الأخير يستعيره الكاتب من Xénophon عندما يقول :" فن الحرب هو بشكل جازم ونهائي فن الحفاظ على حريته". (من كتاب Foch " مبادئ من أجل الحرب"،كتبه في عام 1903،الصفحة 95).

أما الميجور ـ جنرال Fuller فقد اقترح لائحة استفاد منها الجيش الأمريكي بشكل كبير في عام 1921. تم تنقيحها و تصحيحها أكثر من مرة ، مع ذلك احتفظت ، ورغم تناولها من قبل مذاهب مختلفة ، بقوتها ومكانتها. وفي آخر طبعة للمرجع Field Manual الصادرة في عام 1993 عن الجيش الأمريكي ، تأخذ هذه الطبعة بتسعة مبادئ هي : الهدف،الهجوم،التجمع،اقتصاد القوى،المناورة،وحدة القيادة،الأمن،المفاجأة والبساطة . أما تغيرات وتحولات المبادئ لا تنتهي

وليس لها حد . لقد تحدث بعض الإستراتيجيين عن مبدأ أو مبدأين كبيرين يلخصان كل فن الحرب . الأميرال Labouerie حدد المبادئ جميعها بمبدأين فقط وهما : الصعق أو الرعب و الشك[2].

---2

البند الثالث : معايير استخدام مصطلح الإستراتيجية

يجب أن تتوافر في كل ما يتصف بالاستراتيجي الارتباط بالمعايير الآتية :

- وجود تهديدات اومنافسة - اعلى مستوي قيادي - يشمل جميع الاهداف الرئيسية (الغايات) أو احدهم - ينتج عنه تخصيص وتكليف مهام .
- يستخدام مصطلح إستراتيجية ، لكل التخصصات وعلى كل المستويات، وهناك معايير أساسية يجب أن تتوافر فيما يتصف بالخطة الإستراتيجية ، أو ما يوصف بأنه موضوع أو هدف استراتيجي .

يتضح مما سبق ، ان مصطلح استراتيجية ارتبط بالمجال العسكري ارتباطاً وثيقاً لا يمكن فصله، واستخدام هذا المصطلح في المجال العسكري ارتبط بمعايير أساسية نحاول استعراضها فيما يلي :

أ - على مستوى تخطيط والاهداف والغايات :

من الناحية العسكرية ينقسم التخطيط الي (تخطيط استراتيجي) يقوم بتحديد اهداف تسمي (الغايات) أو اهداف عليا **بعيدة المدى** أو على مستويات الاهداف ، وهو مستوي اهداف (القيادة العامة بجميع فروعها وتشكيلاتها) ويطلق عليها الاهداف الإستراتيجية وبناء عليه يتم تخصيص المهام للجيوش الميدانية والتشكيلات لتحقيق هذه الاهداف، ومن ينتقل التخطيط الي مستوي (التخطيط التعبوي) والذي يحدد بدوره اهداف لتحقيق مهمته وتتصف بانها **اهداف متوسطة المدى** اوالاهداف الفرعية أو اهداف التشكيلات والجيوش الميدانية والمناطق ويطلق عليها (الاهداف التعبوية) والتي تترجم بدورها الى مهام تكلف بها الوحدات الميدانية، ومن ثم ينتقل مستوي التخطيط الى (تخطيط عال

[2] - Guy LABOUERIE، " مبادئ الحرب"، بحث في مجلة "الدفاع الوطني" الفرنسية،نيسان 1992.

المعايير) يقوم بتحديد (اهداف تخطيطية) وهي **اهداف مباشرة أو اهداف** صغري اواهداف قريبة أو اهداف خاصة بالوحدات الميدانية ومن ثم تحول تلك الاهداف الي مهام تكلف بها كل وحدة صغرى علي حدى وفي الغالب تحول هذه الاهداف الي مستوي رابع علي مستوى الفرد والقائد على الأرض وهو ما يسمي (الهدف المباشر) أو (الهدف المرئي) والذي يصدر به امر القتال من القائد الي المقاتل على الأرض.. واذا تأملنا هذا التقسيم سنجد ان تسلسل الخطط وتدرجها يتم من اعلي المستوى الإداري أو القيادي الي اسفله كما وان هناك فصل بين المستويات يكون ضروري ومحسوم لما له من مميزات تفويض السلطة وتخصيص المهام وتوفير الاعباء الذهنية والتركيز في انجاز وتحقيق المهام وتوفير قنوات الاتصال والسيطرة.. حتي تتحول الخطة الإستراتيجية الي امر قتال من قائد الي جندي (يكفي تدريبة علي تقنيات القتال المختلفة).. وعلي هذا يجب أن يحتفظ المستوي التخطيطي بموقعه في قمة الهرم القيادي أو الإداري والا تحول الي مستوي اخر، ،، تعبوي أو تخطيطي أو اوامر ميدانية مباشرة.. وهنا في هذه الحالة لايصح ان يطلق عليه مصطلح (استراتيجي).. وهذا ما لم يحدث في العلوم العسكرية حتى الآن وهي المصدر الرئيسي لاستخدامات هذا المصطلح.

ب - وجود تهديدات اومنافسة:

يرتبط مصطلح إستراتيجية بوجوب **وجود تهديدات ما،** فالاستخدام العسكري أو العلوم العسكرية لا تستخدم الا في حالة واحدة فقط وهي وجود تهديدات تجبر المجتمعات علي تكوين الجيوش واستخدام تلك العلوم.. والدليل على ذلك ان اي تنظيمات اخري غير عسكرية لا تستخدم هذا المصطلح للتخطيط لاعمالها الا انها تستخدم مصطلحات اخري مثل، المنهج أو التخطيط الإداري إذا ما كان هناك هدف أو مجموعة اهداف تريد تحقيقها، وهنا لا توجد تهديدات ومعوقات مباشرة تمنع تحقيق هذا الهدف، وتكون خطة المنظمة عبارة عن منهج ثابت ومباشر في سبيل تحقيق هذا الهدف، فالمنهج أو الخطة الإدارية ما هي الا خطوات وخطط ثابتة في سبيل تحقيق هدف محدد، وأيضا يمكن تقسيمه الي مستويات تخطيطية عليا أو عامة، ومستوي متوسط أو برامج أو إداري، ومستوي تنفيذي، لا حاجة لها لتكوين إستراتيجية ومناورات.

ج - أعلى مستوي إداري أو قيادي:

حيث يلتصق وقد ينحصراستخدامات مصطلح (إستراتيجية) في كل ما يعده أو يخططة أو يتداوله المستوي القيادي أو الإداري الاعلي في اي منظمة بشرط ان تكون هي المسؤولة عن تحديد وتحقيق غايات المنظمة، وهو المعروف بالمستوى الاستراتيجي والذي يشترك فيه فريق عمل مكون من جميع قادة الفروع والتخصصات والانشطة بصرف النظر عن حجمها ودورها في التنظيم.

د - تخصيص مهام وتحديد مسؤليات ومراحل:

فالتخطيط لتحقيق هدف مباشر يتم تحقيقة بواسطة نفس المستوي المخطط لا يتصف بالإستراتيجية، ولذا فالخطة الإستراتيجية يجب أن ينتج عنها تقسيم للاهداف وتخصيص للمهام وتوزيع للادوار لمستويات المتوسطة والدنيا، وتبعا لهذه المهام تعد تلك المستويات خطط جديدة ومنفصلة لتحقيقها والتي بمجموع نجاحها يتحقق الهدف الاستراتيجي ، وان لم تتواجد تلك الخطط الدنيا فلا مجال لوصف الخطة بالإستراتيجية لفقدها عنصر تقسيم الادوار والتعاون وبالتالي فقد القدرة علي المناورة. ومن هذه المعايير نلاحظ ان مصطلح (الإستراتيجية) لا يفضل استخدامه الا إذا ارتبط بخطة يضعها أعلى مستوي إداري بالهيكل التنظيمي للمنظمة وبشرط ارتباط الخطة المباشر بتحقيق غايات أو اهداف عامة رئيسية المنظمة وبشرط وجود تهديدات خارجية أو قوة تنافسية مما يستوجب معها استخدام اساليب المناورة أو الاعتماد علي تحليل سوات للفرص والتهديدات كما هو في علوم الإدارة.

وبناء على هذه المعايير السابقة الذكر لا يصح استخدام مصطلح (الإستراتيجية) مع اي موضوع لا تتوافر فيه تلك المعايير سواء علي المستوي العسكري أو الإداري أو العلمي. وبناء علي ما تقدم نجد ان هناك خلل كبير في استخدام هذا المصطلح في دول الشرق وخاصة العربية منها، له مدلولات غير مرغوبة كالظهور والخداع والتعظيم إذا ما اضفنا كلمة (إستراتيجية) لاي حديث بما يوحي به اللفظ من قدرة علي التفكير واهمية الهدف واولويته ورفعة مستوي المتحدث، وكذا اجبار

الطرف الاخر علي الخضوع والاستسلام كون هناك تهديدات لا تحتمل الجدال. كثيراً ما نستخدم مصطلح إستراتيجية في حياتنا العامة وحتي العلمية نقلا عن الغرب دون مراعاة لمدلول هذا المصطلح ورغم أن عندنا في اللغة العربية مصطلحات تؤدي نفس الغرض واقرب للفهم والاستيعاب، وهذا الاستخدام الخاطئ لمصطلح (الإستراتيجية) يفقده معناه ومدلوله، وكذا يخلط بين مجالات الاستخدام الأمثل له، فعلي سبيل المثال بالنسبة للشأن التعليمي أو التربوي ،عندما تضع وزارة التعليم (خطة إستراتيجية جديدة للتعليم) تشارك فيها فروع وادارات وتخصصات عديدة (تعليمية – أبنية – صحة – امن – شؤن اجتماعية) تخرج هذه الخطة بتخصيص مهام لكل إدارة وتخصص، وتبعا لذلك لابد لكل إدارة ان تضع خططها المنفصلة لتحقيق هذه المهام كمستوى تخطيطي تالي.. وهكذا حتي المستوي التنفيذي (المعلم) الذي تخصص له مهام مباشرة (لتحقيقها يلزمه اكتساب خبرات تقنية ومهارات خاصة) وليس وضع خطط مشتركة، وهنا يكون دور وفكر المعلم ليس بالنظري البحت وانما هو دور وفكر تطبيقي باستخدام طرق ووسائل تقنية مختلفة، له حق الاختيار فيما بينها.

الفصل الثاني

أنواع ووسائل الاستراتيجيات

نتيجة للتطور التقني والفكري وزيادة الحاجة للتخصص تعددت أوجه ومستويات وحقول الإستراتيجية بحيث أصبح لكل حقل من الحقول مميزاته الخاصة التي تلائم اعتباراته المعنوية ومعطياته المادية وأهدافه الخاصة به .

القسم الاول : أنواع الاستراتيجيات

من حيث **المستوى** هناك إستراتيجية عليا أو شاملة وإستراتيجية بحتة أو عسكرية أو عملياتية. وضمن الإستراتيجية العسكرية ثمة إستراتيجية برية وبحرية وجوية .

أما من حيث **المجال** فثمة إستراتيجية سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وغيرها .

كذلك تقسم الاستراتيجية إلى مباشرة وغير مباشرة.

وبالرغم من التقسيمات الآنفة الذكر فإن الإستراتيجية في حقيقتها واحدةٌ من حيث الجوهر والهدف والأسلوب. وليس التقسيم إلا ضرورة عملية أو علمية نشأت من خلال تشعب وتضخم مهام الاستراتيجيات.

ولضمان نجاح الإستراتيجية ، يجب تساند وتوافق وتكامل كافة الخطط المختلفة لكي تؤدي مجتمعة ومتضافرة إلى تحقيق الهدف العام للسياسة.

وضماناً لهذا التكامل والتضافر فقد وضعت الإستراتيجية العليا أو الشاملة على قمة الهرم الاستراتيجي واعتبرت السلطة العليا في الدولة هي المسؤولة عن وضعها وتوجيهها .

فالإستراتيجية العسكرية مثلاً هي التنفيذ العملي لمخططات الإستراتيجية العليا من حيث توجيه وإدارة الصراع المسلح . فهي تابعة لها تتعقّب خطاها. أي أن الإستراتيجية العليا تعالج جزئياً من خلال الإستراتيجية العسكرية في حين تعالج الأخيرة جزئيا بالتخطيط . وللتوضيح بشكلٍ

مبسط فإن الإستراتيجية العليا هي سياسة حرب ، أما الإستراتيجية العسكرية فهي فن قيادة الحرب ، والتخطيط هو فن القتال .

البند الاول : الاستراتيجية من حيث المستوى

1- الاستراتيجية الشاملة أو العليا

- تقع في أعلى مستوىً
- هي أعلى هيئة تملك اتّخاذ القرار للمجتمع
- يتحدّد من خلالها الدور العام لمختلف الاستراتيجيّات العامّة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في تحقيق الهدف .

تقع الإستراتيجية العليا في قمة الإستراتيجيات وتخضع مباشرة للسلطة السياسية ومهمتها التعريف بكيفية إدارة الحرب الشاملة ووضع الاهداف لكل من الإستراتيجية السياسية ، والأقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية التي تؤلف المكونات الأساسية للإستراتيجية العليا – وتأمين التنسيق بينها جميعاً.

وتعتبر الإستراتيجية العليا من أختصاص القيادة السياسية أو رؤساء الدول والحكومات بمعاونة رؤساء الأركان العامة والمستشارين ومجلس الدفاع الأعلى .

ويستخدم تعبير الإستراتيجية العليا لشرح فكرة السياسة خلال التنفيذ وإيضاح دورها الفعال في توجيه وتنسيق جميع إمكانيات الدولة لتحقيق الأهداف الوطنية . وعليه فهي (فن وعلم تطوير وإستخدام القوى السياسية والدبلوماسية والأقتصادية والمعنوية والعسكرية للدولة أثناء السلم أو الحرب لتحقيق الغايات والأهداف السياسية) .

ان مدى الإستراتيجية محدد بالحرب ولكن الإستراتيجية العليا تنظر الى ماوراء الحرب ونحو السلم الذي سيعقبه ، ولاتكتفي بتحقيق التنسيق بين مختلف طرق الحرب فقط بل عليها أن تنظم استخدامها أيضاً بغية تجنب تقويض حالة السلم المقبلة من أجل أمن الأمة وأزدهارها.

ان على الإستراتيجية العليا أن تقدّر وتضاعف الأمكانيات الأقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة ، علاوة على دعم القوى المعنوية.

أنَّ أهمية تقوية إرادة الرجال وشخصيتهم تعادل أهمية الحصول على القدرة المادية ، وهي تتولى أيضاً تنظيم وتوزيع الأدوار والقوى بين مختلف المرافق والصناعة . كما علينا أن ندرك أن القدرة الحربية عامل واحد من عوامل الإستراتيجية العليا التي يدخل في حسابها قوة الضغط المالي أو السياسي أو الدبلوماسي أو التجاري أو المعنوي ، وكلها عوامل هامة لأضعاف إرادة الخصم.

مسالك الإستراتيجية العليا

تطبق الإستراتيجية العليا بأحد الشكلين التاليين:

أ ـ الإستراتيجية المباشرة : حيث تعتبر القوة العسكرية الأداة الرئيسة لتحقيق الأهداف الوطنية، ولاتستثنى إستخدام عناصر القوة الأخرى الى جانب القوات العسكرية ، فالعناصر السياسية والأقتصادية والثقافية تشكل أجزاء مكملة للقوة العسكرية ومجموعها يحدد مفهوم الإستراتيجية المباشرة . ويعطى عامل السرعة فيها أهمية كبرى وذلك لعدم أفساح المجال للعدو بترتيب وضعه والرد علينا وبالتالي أجباره على الخضوع لإرادتنا.

ويمكن تحقيق هذه الإستراتيجية في أحد الصور التالية:

ـ إستراتيجية مباشرة تستهدف الحصول على النصر العسكري نتيجة الأشتباك مع قوات العدو

الرئيسية المباشرة ، وقد طبّق الأتحاد السوفيتي هذه الإستراتيجية في الحرب العالمية الثانية.

- إستراتيجية مباشرة تستهدف الحصول على النصر العسكري ليس عن طريق الألتحام المباشر ولكن بعمل يؤدي الى الأخلال بتوازن العدو وأزعاجه ومباغتته كمهاجمة مؤخرته أو أجنحته أو النقاط الضعيفة في جبهته أو قطع خطوط مواصلاته أو قطع طرق إنسحابه أو ضرب مراكز قيادته أو التقدم من إتجاهات غير متوقعة.
وقد طبق الألمان هذه الإستراتيجية في الحرب العالمية الثانية ، كما طبقتها إسرائيل في عمليات عام 1948 ، و1956 ، و1967 .
- إستراتيجية مباشرة تبحث في تحقيق الهدف عن طريق التهديد بإستخدام القوة ، وقد استخدمتها الولايات المتحدة في أزمة الصواريخ بكوبا.

ب - الإستراتيجية غير المباشرة : وهي تبحث في تحقيق الأهداف بطرق غير عسكرية بالدرجة الأولى وبالإنهاك العسكري بالدرجة الثانية إذا أقتضت الضرورة . أي بمعنى أنها تبحث عن الحسم عن طريق إستخدام الوسائل النفسية ، كالدعاية والإشاعة ، وتسميم السياسة والأقتصاد ، والضغط الدولي ، والتفتيت الداخلي وغيرها.

وتستهدف كذلك تدمير معنويات العدو والحفاظ على معنويات الأصدقاء ، وتستخدم أسلوب الحرب الثورية ، وتخضع لثلاث مراحل:

- الحفاظ على الأمل وخلق الثقة بالنصر مهما طال الصراع .
- تثبيط همم العدو حتى يتحقق الحسم النفسي.
- ردع العدو ومنعه من إستخدام الوسائل العسكرية المتفوقة.

أن السبب الذي يدعو إلى إستخدام إستراتيجية غير مباشرة هو إنتظار الأنقلاب في ميزان القوى، ويتم الحصول على هذا الأمر بإنهاك طُرُق العدو ، علماً بأن وخزات الأبر المتعاقبة تضعف العدو أكثر من الصدمات الكبيرة ذات النتائج غير الحاسمة ، على أن يكون إنهاك العدو خلال هذه الوخزات أكبر من إنهاك قواتنا ، وذلك بتدمير تموين العدو أما بغارات أو هجمات محلية تؤدي الى إفناء بعض طرقه أو تكبيدها خسائر كبيرة ، مما يدفعه الى القيام بهجمات غير مجدية ، ويجبره على اتخاذ وضع ممتد أكثر مما تتحمل قواته مع إنهاك قدرته المادية والمعنوية.

ويمكن تحقيقها بأحد الصور التالية:

- استخدام الأساليب السياسية أو الدبلوماسية أو الأقتصادية لتحقيق الأهداف وقد طبقها هتلر عند أحتلاله النمسا وتشيكوسلوفاكيا.

- اللجوء الى أسلوب حرب العصابات طويلة الأمد ، كما حدث في الجزائر وفيتنام .

- فتح جبهات ثانوية في أرض العدو أو في أقاليم دول تابعة أو مؤيدة له بعيداً عن جبهة القتال الرئيسة ، وقد طبقت بريطانيا هذه الإستراتيجية في الحرب العالمية الثانية بفتح جبهة شمال أفريقية .

- إثارة الفتنة داخل دولة العدو بحيث يؤدي الى إقتتال مواطنيه وأضعافه من الداخل وهذا ما طبقته إسرائيل في لبنان لغرض ضرب الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية .

- الإستيلاء على هدف جزئي بسرعة كبيرة بفضل المباغتة وتفوق القوات ثم التظاهر بالتوقف قبل القيام بعملية أخرى ، ثم تكرار ذلك بصورة متتالية وقد طبقت اسرائيل ذلك عام 1948 بعد الهدنة الأولى.

من الطبيعي ان يكون العامل النفسي في الإستراتيجية غير المباشرة مسيطراً وسائداً كما تزداد أهمية عامل الوقت الى حد كبير ويتقلص عامل القوة فيها ، إلا أنه يبقى ماثلاً.

نماذج إستراتيجية

توضع الخطة الإستراتيجية حسب الأمكانات المتيسرة للخصمين وبموجب أهمية سبب وهدف النزاع كمثل النماذج التالية :

- إذا كانت قدراتنا قوية جداً أو أن الصدام المتوقع يؤدي الى إستخدام أمكانات دول حليفة قوية وكان سبب النزاع صغيراً ، فأن مجرد التهديد بهذه الوسائل كافياً لاجبار الخصم على قبول الشروط المفروضة عليه أو جعله يتراجع عن إدعاءاته وتطلعاته وهذا ماحدث عندما هدد الأتحاد السوفيتي بضرب لندن وباريس بالصواريخ أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

- إذا كان سبب النزاع صغيراً وكانت الأمكانات محدودة لاتحقق تهديداً فعالاً ، فأن الحل الحاسم يتم من خلال أعمال مخادعة وضغوط سياسية ودبلوماسية وأقتصادية ، وهذا ما استخدمه هتلر حينما ألغى أتفاقية التعويضات وإعادة تسليح الجيش الألماني.

- اذا كانت حرية العمل العنيف محدودة والوسائل المتيسرة محدودة أيضاً وكان الهدف كبيراً ، فأن تحقيق النتيجة الحاسمة يتم بسلسلة من الأعمال المتعاقبة بقوات محدودة وعمليات محلية تتخللها أعمال ضغط مباشر وغير مباشر وهذا ماحدث في فيتنام مؤخراً .

- اذا كان مجال حرية العمل العنيف كبيراً ولكن الوسائل المتيسرة ضعيفة لاتكفي للحصول على نتيجة عسكرية حاسمة ، عندئذ يمكن اللجوء الى إستراتيجية الصراع طويل الأمد الذي يرمي الى إستنزاف العدو وانهاكه مادياً ومعنوياً بحرب شاملة تعتمد على حرب عصابات عامة في كل مكان ، ويستخدم هذا في حروب التحرير كما حدث في ثورة الجزائر.

- اذا كانت القدرة العسكرية قوية بشكل كاف فأن النتيجة الحاسمة تتم بالعمل العسكري الذي يتخذ شكل صراع عنيف قصير الأمد يؤدي الى تدمير القوى المعادية في ميدان المعركة أو إحتلال كل أو بعض أراضي الخصم لأجباره على قبول الشروط المفروضة عليه وهذا ما حدث في عدوان حزيران 1967 .

وأخيراً هذه النماذج لاتشمل كافة نماذج الإستراتيجية ، وأن أختيار النموذج الصحيح عملية تتطلب تقدير موقف مفصل يتضمن دراسة وتحليل كافة العوامل العسكرية والجغرافية والسياسية والنفسية والعقلية لدى الخصمين ثم التوصل الى النموذج الملائم للحالة المطلوبة.

2 - الاستراتيجية العامة

- تكون في كل حقل من الحقول
- تحدّد الخطوط العريضة للعمل في ذلك الحقل، وكيفيّة الوصول لتحقيق الأهداف الفرعيّة الموكلة إلى هذا الفرع في إطار الاستراتيجيّة الشاملة.

3- استراتيجية العمل

- تقوم في كل فرع .
- لا تكتفي هذه الاستراتيجيّة "بتأمين توافق الأهداف التي اختارتها الاستراتيجيّة العامّة مع الإمكانيّات الفعليّة التي تحدّدها القدرة التكتيكيّة أو التقنية في الفرع المطلوب ، ولكنّها توجّه تطوّر التكتيكات والتقنية لملاءمتها مع متطلّبات الاستراتيجيّة.

4- الاستراتيجية الأمنية

- المجال = الأمن العام الداخلي .
- خصومنا:
  - التهديدات الأمنية المختلفة.
  - المجرمون والجرائم.
  - الحوادث ومسبباتها.
- أدواتنا: كل الموارد البشرية والمادية والمعنوية المتوفرة.

5 - استرتيجية التغيير

وهي رؤية ذكية للشخص صاحب الإحساس المرهف تكون بصورة قادرة على تلبية احتياجات وتطلعات الأفراد الذي يضمهم الكيان التجمعي أو الإداري أو التنفيدي أو العسكري .. وهي على ثلاث أنواع استراتيجية إعادة البناء وتتناول هدم وإزالة النظام القديم العاجز عن الوفاء بمتطلبات العصر سواء تغير جذري أو جزيئ , تدريجي أو انقلابي.

6 - استرتيجية الارتقاء والنمو

ويكون ذلك من خلال تهيئة مناخ جديد ووضع الأسس الجديد لإستقبال النظام الجديد القادر على الوفاء بمتطلبات العصر.

7- استراتيجية الهيمنة

من خلال إقامة الهيكل الرئيس للنظام الجدي .

البند الثاني : الاستراتيجية من حيث المجال

تتعدد مجالات الاستراتيجية حيث تشمل كافة الشؤون والطرق لبلوغ الهدف المنشود ، ونذكر اهمها في المجال السياسي ، الاداري ، الاقتصادي ، الاجتماعي والعسكري الذي هو الركن الاساس للاستراتيجية بحيث تُنعت به هذه الاخيرة .

1 - الاستراتيجية السياسية :

ان اي عمل سياسي منظّم يهدف الى اجراء تغيير في الواقع الاجتماعي القائم وبناء علاقات جديدة لا بد ان تكون له استراتيجية واضحة لتحقيق اهدافه البعيدة المدى على ان تغطي هذه الاستراتيجية مرحلة تاريخية كاملة ، وان يكون له تكتيك لتحقيق تلك الاستراتيجية على شكل مراحل جزئية ، وبغير ذلك لا يكتب لذلك العمل السياسي بالنجاح المرجو منه .

فالاستراتيجية كما تم ايضاحها ، هي تحديد الاهداف وتحديد القوة الضاربة وتحديد الاتجاه الرئيسي لحركة التغيير، إذ هي في صلب الاهتمام السياسي بحيث تختلف الاستراتيجية السياسية باختلاف المراحل التاريخية للتغيير الاجتماعي . ولكن لا تختلف الاستراتيجية السياسية عن الاستراتجية العسكرية من حيث آليات العمل ولكنها تختلف من حيث الاهداف وادواتها . فالاستراتيجية السياسية تتعلق عادة بمرحلة تاريخية كاملة ، ولهذا تختلف الاستراتيجيات باختلاف المرحلة التاريخية لكل ثورة اجتماعية من الثورات ، فاستراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية تهدف الى تحرير الوطن من الاحتلال الاجنبي وحليفه الاقطاع المحلي واشاعة الديمقراطية في المجتمع ، وتختلف عن استراتيجية الثورة الاشتراكية التي تهدف (من حيث المبدأ والنشأة) القضاء على الاستغلال الرأسمالي للبرجوازية الراسمالية الوطنية وبقايا الاقطاع بتأميم وسائل الانتاج الرئيسية ونزع ملكيتها من الرأسماليين وجعلها ملك الشعب . وكذلك تختلف استراتيجية كل ثورة اجتماعية من هذه الثورات باختلاف الظروف الخاصة لكل بلد من البلدان .

الا انه ما هو ضروري في كل استراتيجية سياسية هو ان تحدد الاهداف العامة لها ، مثل القضاء على الاستعمار الاجنبي والاقطاع المحلي في حالة استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية ، او القضاء على الاحتكار والاستغلال الراسمالي للبرجوازية الراسمالية الوطنية والاجنبية ان وجدت بصورة شاملة في حالة استراتيجية الثورة الاشتراكية... وكذلك من الضروري تحديد القوى الاجتماعية الضاربة والتي لها المصلحة الكبرى في تحقيق الاهداف التي تبغيها استراتيجية تلك الثورة الاجتماعية ، وكذلك ترتيب هذه القوى بحسب مدى فعاليتها وثوريتها وكفاءتها وقدرتها على الحركة في احداث التغيير المطلوب .

وعلى سبيل المثال ، في حالة استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية يمكن تحرك قوى اجتماعية عديدة ما دامت تلك القوى تلتقي جميعاً في معاداتها للاحتلال الاجنبي واستغلال الاقطاع المحلي ، ولكن في نفس الوقت من الضروري جداً التمييز بين القوى الاساسية والقوى الاحتياطية والقوى الطليعية القائدة للثورة الاجتماعية والقوى المتحالفة والقوى المترددة ، فضلاً عن تحديد القوى المعادية للثورة بمراتبها المختلفة كذلك ، كقوى معادية اساساً وقوى تابعة واخرى قوى يمكن تحييدها او شلها عن الحركة في التصدي للثورة.. وتختلف طبيعة هذه القوى الثورية منها والمعادية للثورة باختلاف اهداف الثورة وباختلاف طبيعة المرحلة التاريخية لكل ثورة اجتماعية.. فمثلا هناك فئآت من الرأسماليين يشتركون في الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية المعادية للاستعمار الاجنبي والاقطاع المحلي في حدود معينة لأن هذه الثورة تحرر لهم السوق المحلي من سيطرة الراسمال الاجنبي واستغلال الاقطاع المحلي.. ولكن نفس الفئآت يرفضون الاشتراك في الثورة الاشتراكية بل يعادونها معادات صريحة لان الثورة الاشتراكية تقضي على استغلال الرأسمالي المحلي للبرجوازية الوطنية وتجعل ملكية وسائل الانتاج الاساسية ملكية عامة للشعب ولهذا السبب يقفون بالضد من الثورة الاشتراكية ، لأن الثورة الاشتراكية تقضي على مصالح هذه الفئات من الرأسماليين على عكس الثورة الوطنية الديمقراطية حيث تضمن لهم مصالحهم .

وتُثار في الاستراتيجية السياسية قضية اتجاه الضربة الرئيسية وهي بحد ذاتها قضية خلافية بين واضعي الاستراتيجيات ، فهناك رأي يؤكد بان اتجاه الضربة الرئيسية هو جوهر كل استراتيجية ، يفرق بين اتجاه الضربة الرئيسية واهداف المرحلة الاستراتيجية ، فمثلا اذا كان هدف الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية هو القضاء على الاحتلال اوالاستعمار الاجنبي وحليفه الاقطاع المحلي فان اتجاه الضربة الرئيسية يكون شل تردد الراسمالية الوطنية وتخليص جماهير الشعب من قيادتها الفكرية والسياسية والتنظيمية على السواء.. وهناك رأي اخر على النقيض من الرأي الاول ، حيث يؤكد هذا الرأي ان يكون اتجاه الضربة الرئيسية اساساً لتحقيق الاهداف الاستراتيجية وان لا تنحرف الى أية قوة اجتماعية اخرى . أي بمعنى آخر اذا كانت اهداف الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية القضاء على الاستعمار الاجنبي وتصفية الاقطاع المحلي ، فيكون اتجاه الضربة الرئيسية لهذه الثورة هو الاستعمار الاجنبي والاقطاع المحلي وليس الرأسمالية الوطنية ، حيث يمكن تحقيق تحالف مع الرأسمالية الوطنية خلال مرحلة التحرر الوطني . المهم ان الاستراتيجية هي خطة ثورية لتحقيق اهداف معينة تؤدي الى تغيير التركيب الطبقي للمجتمع في مرحلة تاريخية كاملة ، وبالتالي فان الاستراتيجية تتألف بالضرورة من تحديد للأهداف وتحديد للقوى الاجتماعية الضاربة مع التمييز بينها من حيث الكفاءة والقدرة والثورية ثم تحديد خطة الحركة العامة..

من هنا يمكن القول بأن السياسة هي في صلب الاستراتيجية ، فنجد إن **ليدل هارت** يعرف الإستراتيجية بكونها ((فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة)) ويضيف بأن الإستراتيجية (الإستراتيجية الشاملة) بأنها ((تنسيق وتوجيه كل موارد الدولة وإمكانياتها للحصول على الغرض السياسي للدولة، وهو الذي تهدف السياسة القومية إلى تحقيقه)) ورغم شمولية هذا التعريف في إيجاد المواءمة بين استخدام الوسائل المتمثلة بموارد الدولة وبين هدف السياسة القومية ، إلا انه حدد أهداف الإستراتيجية الشاملة بالأهداف السياسية البحته ، فوقع الخلط عنده بين الإستراتيجية السياسية والإستراتيجية الشاملة ، فعرف الإستراتيجية الشاملة

ومبتغاها تحقيق أهداف شاملة توازي كافة استخدامها الشامل للموارد المتاحة للدولة، فمن غير المنطقي أن تسخّر الإستراتيجية كل موارد الدولة لتحقيق هدف سياسي وتذر باقي الأهداف (الاقتصادية، العسكرية، الثقافية) معلقة دون تحقيق .

ومن الباحثين العرب يعرفها اللواء **حسن مطاوع** بأنها ((الاستغلال الكامل للقوى السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية للدولة في السلم والحرب لتحقيق الأهداف التي تضمن سلامتها وأمنها)) .

أخيراً ، تتولى الإستراتيجية السياسية إعداد الخطط والمبادئ التي تهيئ الأجواء لتحقيق الأهداف السياسية للدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي . **داخلياً** تتولى الإستراتيجية السياسية إدارة برنامج وطني لتحقيق الاستقرار والرفاه الاقتصادي والاجتماعي ، و**خارجياً** تسعى هذه الإستراتيجية وعبر موائد التفاوض إلى تهيئة البيئة الخارجية للدولة لتحقيق أهدافها السياسية في التصدي واحتوائهم للخصوم وكسب الحلفاء والأصدقاء وتحقيق المكانة والتأثير للدولة . وهذا لا ينفي أن تستمد الإستراتيجية السياسية فاعليتها من إمكانات الدولة لرفد فاعليتها في تحقيق أهدافها السياسية التي تصب في محصّلتها في خدمة أهداف السياسة العليا للدولة . إذن حركة هذه الإستراتيجية تكون في أوقات السلم والحرب ، ونطاق هذه الحركة يكون في الداخل والخارج ، خلافاً للإستراتيجية العسكرية التي وان ارتكنت إلى معين إمكانيات ألامه ، إلا إنها تبقى في ساحة القتال في وقت الحرب أو الاستعداد لها ، إذ تنصرف الإستراتيجية العسكرية إلى استخدام القوات المسلحة أو التهديد بها لتحقيق أهداف تعود في محصلتها إلى خدمة الهدف الاستراتيجي النهائي

----------4

2 – الاستراتيجية الادارية والإدارة الإستراتيجية

بحسب **Glueck** الإدارة الإستراتيجية هي سلسلة من القرارات والأفعال التي تقود إلى تطوير إستراتيجية أو استراتيجيات فعالة لتحقيق أهداف الدولة او المنظمة .

ويرى آخرون أن الإدارة الإستراتيجية تمثل منظومة من العمليات المتكاملة ذات العلاقة بتحليل البيئة الداخلية والخارجية وصياغة إستراتيجية مناسبة وتطبيقها وتقييمها في ضوء تحليل أثر المتغيرات المهمة عليها وذلك بما يتضمن تحقيق ميزة إستراتيجية للمنظمة وتعظيم انجازها في أنشطة الأعمال المختلفة .

وتختلف الإدارة الإستراتيجية عن التخطيط الاستراتيجي والتخطيط التشغيلي ، فالإدارة الإستراتيجية هي ثمرة لتطور مفهوم التخطيط الاستراتيجي وتوسيع لنطاقه وإغناءً لأبعاده ، فالتخطيط الاستراتيجي هو عنصر من عناصر الإدارة الإستراتيجية وليس الإدارة الإستراتيجية بعينها لان الإدارة الإستراتيجية تعني أيضاً إدارة التغيير التنظيمي وإدارة الثقافة التنظيمية وإدارة الموارد وإدارة البيئة في نفس الوقت ، فالإدارة الإستراتيجية تهتم بالحاضر والمستقبل في آن معاً ، في حين أن التخطيط الاستراتيجي هو عملية تنبؤ لفترة طويلة الأجل وتوقع ما سيحدث وتخصيص الموارد .

من المهام الرئيسية للإدارة الإستراتيجية هو متابعة وتقييم أداء الدولة او المنظمة ، كنظام متكامل يتكون من بنية متفاعلة من الأنظمة الوظيفية الفرعية ، فإلى جانب تحليل أداء الأنظمة الفرعية والمناخ التنظيمي والثقافة التنظيمية ، وما تتضمن هذه المجالات والأنظمة من عناصر قوة وضعف ، تقوم الإدارة الإستراتيجية بتجديد مركز الدولة الإستراتيجية وتقييم الأداء ككل من خلال تحديد دور كل نظام في خلق قيمة محددة لهذه الدولة ومتابعة سلسلة القيمة المضافة ذات الأثر المباشر في إتاحة فرص البقاء أو النمو والتطور في كافة المجالات، ويعتبر التكامل الاستراتيجي شرطاً جوهرياً للكفاءة والفاعلية .

وخلاصة القول أن الإدارة الإستراتيجية هي عملية إبداعية عقلانية التحليل وهي عملية ديناميكية متواصلة يسعى إلى تحقيق رسالة المنظمة من خلال إدارة وتوجيه الموارد المتاحة بطريقة كفوءة وفعالة والقدرة على مواجهة تحديات بيئة الأعمال المتغيرة من تهديدات وفرص ومنافسة ومخاطر لتحقيق مستقبل أفضل انطلاقاً من نقطة ارتكاز أساسية في الحاضر .

تتضح أهمية الإدارة الإستراتيجية من خلال تحليل التحديات التي تواجه الإدارة ، وهذه التحديات :

أ) تسارع التغير الكمي والنوعي في بيئة تبادل الاعمال في عالم اليوم ان على الصعيدالخاص او العام بحيث

يظهر التغير بجلاء أكثر في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعالم وفي تطور التكنولوجيا والبرمجيات المعقدة والتقنيات المتطورة لأجهزة الاتصال ، لذلك على صانع الإستراتيجية مواكبة

التغيير وليس مواجهته لاكتساب المزيد من التعلم والخبرة في إدارة التغيير بطريقة فعالة تستند على مشاركة واسعة من قبل كل أفراد التنظيم .

ب) زيادة حدة المنافسة :

لقد أصبحت المنافسة الكونية حقيقة واقعة ابتداءً من أشباه المواصلات إلى خدمات التنظيف ، كما غيرت العولمة الاقتصادية حدود المنافسة ، وتتضح هذه الصورة في ظهور منافسين جدد باستمرار وزيادة حدة المنافسة في الأسواق المحلية والعالمية مما يفرض على صانعي الإستراتيجية تحدي صياغة وتطوير خطط إستراتيجية كفؤة وبعيدة المدى لمعالجة وضع منظماتهم داخل الدول في الأسواق ذات النمو البطيء والأسواق التي ستكون فيها حصة الدولة بوضع حرج .

<u>3 - الاستراتيجية الاقتصادية</u>

لقد تلاشت في عالم الأعمال حدود السيادة بين الدول والأقاليم وذلك مع زيادة الاعتماد المتبادل للاقتصاديات ، ونمو المنافسة الأجنبية في الأسواق المحلية وندرة الموارد الطبيعية ، حرية التبادل التجاري ، كل هذه المعطيات وغيرها جعلت من نشاط الأعمال أكثر عالمية واقل محلية من ذي قبل .

فمثلا ضمن المظاهر البارزة عل كونية الأعمال هو اتجاه الشركات اليابانية للبحث عن تحالفات إستراتيجية مفتوحة مع الشركات العالمية الأخرى بحيث يتعرف كل طرف على عناصر القوة التقنية في الطرف الآخر ، شركة تويوتا و Gm يشتركان الآن في مشروع تطوير تصنيع السيارات .

تعتمد معظم المنظمات على التكنولوجيا لتحقيق ميزة تنافسية ضرورية للبقاء في عالم الأعمال ، ولأن التكنولوجيا تتغير بصورة سريعة في كل الصناعات ، فان عدم مواكبة هذا التغير يضع المنظمة في مواجهة تهديد حقيقي ، وعادة تهيئ إدارة المنظمات نفسها لمواجهة المنافسين من خلال تطوير طرق جديدة للمنافسة والاستفادة من المميزات التقنية الجديدة .

من الواضح أن الموارد الطبيعية في تناقص مستمر واليوم توجد صناعات معينة تواجه نقص خطير في المواد الأولية وعناصر مدخلات النظام الإنتاجي لذلك يتطلب في الإدارة الإستراتيجية وضع خطط طويلة للحصول عل المواد الأولية بطريقة عقلانية واقتصادية وفي إطار المسؤولية الاجتماعية .

من هنا يمكن القول بانه ، تُعرف الإستراتيجية الوطنية لدولة ما على أنها" تحديد الأسلوب المناسب لاستغلال موارد الدولة والتغلب على نقاط الضعف ، وكيفية التصرف في مواجهة التغيرات التي تطرأ، أي فن استخدام موارد الدولة وإمكانياتها لتحقيق الأهداف العامة للدولة"، أو أنها "الرؤية الشاملة لتحقيق العدالة الاجتماعية والرفاهية الشاملة القادرة على الإرتقاء بعملية نشر القيم الحضارية ، بمعنى أن يكون هنالك التزام قادر على تقديم افضل الخدمات من خلال تحفيز البشرية بإتجاه الاستغلال الأمثل للموارد".

وتعرف استراتيجية تنمية الدولة بأنها خطة عمل لتحقيق نمو عادل فيها بغية تحسين مستوى الحياة لكل المواطنين ، ويتم تطويرها واستدامتها من خلال مشاركة كل الأطراف المعنية ، حيث على الفريق الذي يتولى عملية إعداد استراتيجية تنمية الدولة أن يحدد من هم ذوي الشأن والمعنيين بذلك ، وكيف يمكن إشراكهم في العملية ، وكيف يتم تثبيت ثقافة استثمارية تجارية حيوية مبنية على المشاركة .

إن أي استراتيجية لتنمية الدولة لا بد أن تعمل على إيصال الخدمات الأساسية بكفاءة ، وأن تسعى لوضع أسعار عادلة لتلك الخدمات .

اضافة الى أن توفر الخدمات الأساسية ، وعلى وجه الخصوص، المياه ، الكهرباء والنقل ، وسائل اتصالات المتطورة وكل ما يؤثر على حياة الفقراء بصفة مباشرة .

كما ينبغي إن تركز عملية صياغة استراتيجية تنمية المدينة على أفضل الوسائل لتقديم الخدمات الأساسية بفعالية ، وأن تشمل آليات أدائها مبدأ استرجاع التكلفة ومراجعة الإطار التنظيمي لها .

ان أسس هذه الاستراتيجية تتلخص بما يلي :

1- المشاركة الشعبية في اعداد الاستراتيجية بما في ذلك القطاع الخاص والمجتمع المحلي.

2- الادارة المحلية هي المسؤل الأول عن اعداد الاستراتيجية.

3- المجلس المحلي هو المسؤل عن التشاور والتنسيق لتحديد الاحتياجات واولويات السكان .

4 – الاستراتيجية الاجتماعية

إن الإستراتيجية الشاملة للمسؤولية الاجتماعية تتأسس على كل من المجال الاستراتيجي (البيئة والمنظمة بمستوياتها المختلفة) والمحتوى الاستراتيجي المتضمن (الرؤية ، الرسالة ، ومسارات العمليات والتكتيكات) وتتماشى معها في مستوى الاستراتيجية الشاملة للمنظمة وترتكز على المحددات التنظيمية (الموارد الداخلية والقدرات) وتوجيه الرؤية والمساندة للمحددات البيئية ،

الاجتماعية ، الثقافية ، القانونية ، اصحاب المصالح ، الاسواق ، التكنولوجيا الخ.

وهي من جانب آخر تعزز :

- المسؤولية الاجتماعية الرسالة وماذا ؟
- الاستراتيجية
- التكتيكات

وتستند على :

- إستراتيجية الضغط بحيث تفترض هذه الإستراتيجية أن الجماعات المختلفة في الرأي لا يمكن أن تتفق وتغير في آرائها إلا عندما تتحقق من أن هذا التغيير سيكون لصالحها، حيث أن الإنسان في قبوله لأنواع التغيير يقيم نتائج هذا التغيير في ضوء مكاسبه وخسارته الشخصية .

- إستراتيجية الإقناع بحيث تفترض هذه الإستراتيجية أن يسهل اتفاق الجماعات المختلفة في الرأي على أساس القيم التي يعتنقونها ، وأن الإنسان يمكن له أن يغير في معتقداته متى اقتنع أن هذا التغيير لا يتعارض مع المصلحة العامة.

ومـــن جانـــب أخـــر فـــإن الانعكاســـات الايجابية للمسؤولية الاجتماعية على أصحاب المصالح مـن الـداخل بمـا فـي ذلـك أخلاقيـات الإدارة يقـوي من مواقع القوة ، ويحد من مواقع الـضعف وهـذا يـشير إلـى الـدور الاستراتيجـــــي والبنيـة الإستراتيجيـــة الشاملة الاجتماعية للمسؤولية الاجتماعية الشاملة من خلال استراتيجية تضعها الدولة تهدف الى ضمان الحقوق الاجتماعية وتفعيل الدمج المجتمعي ودعم الدور المحوري للأسرة في التماسك الاجتماعي وتمكينها من اداء دورها مع تعزيز التكامل مع الحكومات المحلية والارتقاء بجودة الخدمات الاجتماعية واعلاء مفهوم المسؤولية المجتمعية وتعزيز الشراكة الفاعلة مع القطاع الأهلي والخاص للارتقاء بالأداء لتحقيق الخطة المرجوة .

5 - الاستراتيجية العسكرية

ان الآلة العسكرية لها الكلمة الفصل ، وأصبحت **الدولة التي لاتمتلك سلاحها ، لاتستطيع أن تمتلك طعامها**، وتدخلت التكنولوجيا العالية الدقة، وبشكل لم يسبق له مثيل ، في التصنيع العسكري، كما كثرت الصراعات الدولية في ظل نظام عالمي جديد لايعرف إلا المصالح .
ومن هذا المنطلق كان لابد من التطرق لمجمل القضايا الاستراتيجية ، الإقليمية والعالمية

بالاضافة إلى التعريف بأحدث ما وصل إليه العلم من تكنولوجيا السلاح والتصنيع العسكري لتبدو الصورة جلية . تصادفنا في حياتنا اليومية مصطلحات عديدة تتردد في وسائل الاعلام مثل (السياسة الدفاعية ، و العقيدة العسكرية ، والمذهب العسكري و الاوامر القتالية) ، والواقع أن هذه المصطلحات الثلاثه تعبير عن مفهوم واحد يشمل قضايا الحرب بصفة عامة ، وقضايا بناء وإعداد القوات المسلحة ، وكذلك إعداد البلاد لخوض الحرب المحتملة مع كل ما يتفرع عن هذه المواضيع من مسائل ومعضلات . ولو أنه من غير المناسب علمياً إستخدام كلمة المذهب حيث يدل على المعنى ، لأن المذهب عربياً جزء من العقيدة .

وتصاغ أحكام المذهب العسكري من قبل القيادة السياسية والعسكرية للدولة استناداً إلي تحليل موضوعي للظروف والموقف السياسي والعسكري في المنطقة المحيطة بالدولة المعنية ، وبالأعداء المحتملين أو بالأحري مصدر التهديد بشن الحرب علي الدولة ، وبإمكانيات ونوايا وأساليب عمل العدو المحتمل، وبشكل أساسي تحليل إمكانيات الدولة الاقتصادية والعسكرية واستناداً لذلك تتحدد الأهداف السياسية التي تتوخاها الدولة من خوض الحرب.

والأحكام الأساسية للمذهب العسكري هذه تنبثق من السياسة الداخليه والخارجية للدولة واستناداً على ذلك، ونظراً لإختلاف السياسة والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية من دولة إلي أخري فلا بد من وجود مذهب عسكري خاص لكل دولة من هذه الدول مهما بلغ شأنها، صغيرة كانت أم كبيرة، قوية كانت أم ضعيفة . والتاريخ عبر مراحله لم يعرف دولة أو مجموعة من الدول خاضت حرباً بدون أن يكون لها مذهب عسكري خاص بها ، سواء كان هذا المذهب موضوعاً (مكتوباً) أو تحت عملية تطبيق أحكام ذلك المذهب غير المكتوب من قبل القيادة السياسية والعسكرية ، خلال الإعداد للحرب أو أثناء خوضها .

يعتبر المذهب العسكري لدولة ما ذلك جزءاً من سياستها من اجل التخطيط وتنظيم الدفاع عنها ، وبكلمة أخرى خطط وأفكار الدولة حول كل المسائل المتعلقة بالحرب والسلم . ويعرف المذهب العسكري أو العقيدة العسكرية أو السياسية الدفاعية لدولة ما بشكل عام ، علي أنه (جملة وجهات النظر والأفكار المعتمدة من قبل الدولة والقوات المسلحة في مرحلة تاريخية محدودة ،

والمتعلقة بطبيعة الحرب المحتملة وطرق خوضها ، وتدابير إعداد القوات والبلاد لتلك الحرب) .

وتكون معظم أحكام المذهب العسكري لدولة من الدول ، معلنة أو معروفة بشكل أو بآخر من خلال النصوص الدستوريه والقانونية التي تعالج مسائل الحرب والسلم ومهام القوات المسلحة ، بالاضافة إلي التوجيهات والتصريحات التي تصدر عن المسؤولين في الدولة والقوات المسلحة بالإضافة إلي ما يرد في مقررات الأحزاب الحاكمة من وجهات نظر تتعلق بالمسائل الدفاعية وتحضير البلاد والمواطنين لمواجهة العدوان المحتمل، وتوضيح عدالة القضية التي يدافع عنها كل مواطن . وبث الحقد على العدو الذي ينوي الاعتداء علي البلاد واحتلال جزء منها والمس بالكرامة الوطنية والمقدسات الدينية ، وبالتالي حشد القوي المادية والمعنوية والروحية لمحاربته ودحره وتحقيق النصر في الحرب .

ونظراً لأن لكل بلد (أو دولة) ظروفاً سياسية وجغرافية خاصةً به، فإن المذهب العسكري لكل بلد ستكون له خصوصياته ، وبالتالي فإن لكل بلد (أو دولة) مذهباً عسكرياً خاصاً به يتميز عن المذاهب العسكرية للدول الأخري، ويمكن فهم ذلك بشكل أوضح إذا تعرضنا للمصادر SOURCES التي ينبع منها المذهب العسكري، وتحديداً أحكام المذهب العسكري، وتشمل هذه المصادر ، **السياسه الخارجية** للدولة، **السياسه الداخلية** ، تطور **الإنتاج الزراعي والصناعي، إمكانيات البلاد الإقتصاديه بشكل عام، الخصائص الجغرافية** ، حالة و وضع **القوات المسلحة،** حالة وسائط خوض الحرب، **وما هو متوفر** منها ؟ من حيث الكمية والنوعية واحتمالات التطور؟ قوانين العلم العسكري، الفن الحربي للدولة **وخبرات الحروب الحقيقية** والمشاريع التدريبية.

يتألف المذهب العسكري من جزئين أو من مكونين أساسين يمثلان وجهي المذهب العسكري وهما:

الوجه السياسي

هو الوجه الأساسي والرائد للمذهب العسكري، ويشمل هذا الوجه البحث في القضايا التالية:

أ- كشف وتحديد الجوهر السياسي والاجتماعي للحرب .

ب- طبيعة الأهداف السياسية للدولة في الحرب .

ج- متطلبات البناء العسكري المستندة إلي الأهداف السياسية التي حددتها الدولة .

د- متطلبات إعداد البلاد (الدولة) للحرب.

الوجه العسكري

أو التقني - العسكري للمذهب، فإنه يعالج المسائل العسكرية المبنية علي أحكام الوجه السياسي ، ويشمل المسائل التالية:

أ- طبيعة الاستراتيجية العسكرية للحرب القادمة.

ب- طرق (وأساليب) خوض الحرب.

ج- مهام القوات المسلحة المنبثقة عن الأهداف السياسية للدولة في الحرب.

د- المحاور الأساسية لبناء القوات المسلحة ، وسياسات التزويد بالإسلحة والأعتدة الحربية الأساسية والمتممة.

هـ- اتجاهات إعداد القوات المسلحة للقتال وأساليب التدريب والتربية االتوجيه المعنويب.

و- طرق استخدام القوات المسلحة بأنواعها (بريه، جوية، بحرية، دفاع جوي) في الحرب.

ز- أسس تحضير البلاد للحرب من الناحية العسكرية وتشمل إعداد مسارح العمليات وإعداد والمواطنين وتدريبهم .

وغني عن البيان أن **وجهي المذهب العسكري مرتبطان** إرتباطاً وثيقاً فيما بينهما وأن بينهما علاقة ارتباط متبادل تتميز بالصفات التالية:

- لا يمكن فصل وجهي المذهب عن بعضهما لأنهما يمثلان وجهي العمله ، والتي بدون أحدهما لا يمكن أن تدعي عملة قابلة للتداول ، اذ يحويان أحكام فيها مجموعة وجهات النظر التي تمثل المذهب العسكري كاملاً. هناك ضرورة لوجود التطابق بين الأهداف السياسية التي تتوخاها الدولة من خوض الحرب وبين الإمكانيات القتالية لقواتها المسلحة، والطرق (الأساليب) التي ستستخدم في خوض الحرب لأنه بدون هذا التطابق فإن نتائج الحرب ستكون خاسرة، ولا بد أن

تجسد أحكام المذهب العسكري هذا التطابق بشكل واقعي .

بالرغم من ذلك فإن وجهات النظر والأحكام المعبر عنها في المذهب العسكري لدولة ما ليست ثابتة ودائمة بالضرورة ، ويعود ذلك إلي عدد من الأسباب ذات الطابع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الخاضعة للتبديل والتغيير مع مرور الزمن واستناداً لما سبق ذكره فإن وجهات النظر والأحكام تلك خاضعة للتمحيص والتغيير من حين لآخر، حيث يمكن استبدال بعض الأحكام التي لم تعد تعبر عن الواقع الجديد بأحكام جديدة . تحل محلها وذلك بناءً علي تحليل الظروف الراهنة .

بالرغم من أولوية الوجه السياسي للمذهب العسكري وبأن أحكام الوجه السياسي لها صفة الريادة إلا أنه ينبغي التأكيد على العلاقة المتبادلة بين الوجه السياسي والوجه العسكري - التقني االتكنولوجي ليست علاقة تبعية فقط، بل هي علاقة تأثير وتأثر بالاتجاهين حيث إن كلا الوجهين للمذهب العسكري يؤثران ويتأثران ببعضها بإستمرار .

أن الاحكام التي تنتمي إلي الوجه السياسي للمذهب هي أقل تعرضاً للتغيير، تتمتع باستقرار كبير بسبب طبيعتها المعبرة عن الأهداف السياسية العامة للدولة ، والتي تتميز عادة بالثبات والاستقرار لفترة طويلة نسبياً، بعكس الأحكام التي تنتمي للوجه العسكري التقني فهي بحكم ارتباطها بدرجة كبيرة بتطور وسائط خوض الحرب تتبدل بشكل أكبر من أحكام الوجه السياسي، لأن عصرنا الراهن يشهد تطوراً عاصفاً وثورياً وسريعاً لوسائط الصراع المسلح .

فالمذهب العسكري هو نتاج للنظام الاجتماعي، ويمثل خلاصة الأفكار المتعلقة بحل المهام والمشاكل العسكرية التي تواجه الدولة في مرحلة تاريخية معينة، وتوضع هذه الأفكار بناءً على تحليل واقعي ودقيق للظروف التي تعيشها الدولة ، بما في ذلك سياستها الخارجية الداخلية وخصائصها الاقتصادية والاجتماعية السياسية والجغرافية ، وحالة ونوعية وسائط خوض الحرب.

يعتبر مضمون المذهب العسكري وأحكامه من المسائل الأساسية للاستراتيجية العسكرية للدولة .

Milatary Strategy نظراً للترابط الموضوعي بين الاستراتجية العسكرية والمذهب العسكري وكان الروس يقولون - قبيل انهيار الإتحاد السوفيتي السابق- إن الاستراتيجية العسكرية هي ابنة المذهب العسكري أي أنها تسند في تخطيطها وخططها علي أحكام المذهب العسكري، فعند بحث وتنفيذ المسائل المتعلقة بالتحضير للحرب وخوضها ، ومسائل بناء القوات المسلحة لابد للاستراتيجية من الاعتماد كلياً على أحكام المذهب العسكري والانطلاق من متطلباتها ، مع مراعاة ظروف الموقف الراهن والإمكانات المادية والمعنوية للبلاد وهنا لابد من الإشارة أن المذاهب العسكرية الغربية تسمي فن العمليات االاستراتيجية بالصغرى والاستراتيجية العسكرية بالاستراتيجية العليا أو الكبرى.

كما أن تطوير نظرية الاستراتيجية العسكرية يتم مع مراعاة متطلبات أحكام المذهب العسكري لأن هذه الأحكام تجسد قرارات الدولة والقوات المسلحة خاصةً في مجال جوهر الإعداد للحرب وطرق خوضها، وحيث أن هذه القرارات لها صفة الأوامر والقوانين (الملزمة) فهي واجبة التنفيذ وبالتالي ينبغي علي الاستراتيجية العسكرية تركيز الجهود والبحوث لحل المسائل التي يطرحها المذهب العسكريى، ولا يقتصر دور الاستراتيجية علي تنفيذ الأحكام التي يقررها المذهب العسكري، وعلي إيجاد أفضل الحلول للمسائل التي يطرحها ، بل أن الاستراتيجية تؤثر بشكل وبآخر علي المذهب العسكري من خلال البحوث والتطبيقات المنفذة والنتائج التي يتم الوصول إليها، حيث تتم إضافة النتائج المعللة إلي أحكام المذهب العسكري .

ولنا في ذلك مثالاً قريباً ، كيف انتقلت الولايات التحدة الأمريكية -من حيث العقيدة القتالية- من نظرية االمعركة الحديثة المشتركة - ثم إلي نظرية العملية جو – أرضية- ثم إلي نظرية - تدمير الاحتياطات الثانية المعادية - علي نطاق حلف الناتو . ثم إلي نظرية االضربة الوقائية - في محاربتها للإرهاب ثم إلي نظرية االضربه الإستباقية في عملية إحتلال العراق عام 2003م .

ومن هنا فإن الاستنتاجات والتوصيات المعللة التي تتوصل إليها الاستراتيجية العسكرية والتي تتناسب مع المتطلبات والأهداف السياسية ، وتتجاوب مع الظروف الراهنة وإمكانيات الدول ، هذه التوصيات وهذه الاستنتاجات يمكن إعتمادها من قبل القيادة السياسية - العسكرية العليا علي أنها أحكام رسمية في المذهب العسكري، وهي جزء لا يتجزأ منه ، وهكذا تمارس لاستراتيجية تأثيراً هاماً علي تكوين أحكام الوجه العسكري للمذهب.

القسم الثاني : الوسائل والقرارات الإستراتيجية

البند الاول : الوسائل

تتباين الوسائل التي تستخدمها الإستراتيجية لتحقيق هدفها تبعاً للتباين في طبيعة وأهمية ذلك الهدف وتبعاً للإمكانات والقدرات المتاحة للظروف والاجواء المحلية والدولية السائدة .

لقد قال بعض الاستراتيجيين القدماء مثل كلاوزفتز ان الوسيلة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة الحاسمة للوصول للهدف في حين يرى المحدثون منهم ان الحل العسكري أو القوة العسكرية هي واحدة من الوسائل وان الأفضل عدم اللجوء إليها فعلا الا بعد استنفاذ وعجز الوسائل الأخرى من دبلوماسية وسياسية واقتصادية ونفسية عن تحقيق الهدف اي يجب العمل بالوسائل الأخرى لخلق وضع استراتيجي مناسب قد يؤدي بذاته إلى الهدف دون اللجوء إلى القوة العسكرية اوقد يؤدي إلى خلق ظروف للمعركة يمكن انتزاع النصر والوصول إلى الهدف بواسطتها بسهولة .

والإستراتيجية الناجحة هي التي تؤدي إلى اختيار الوسيلة أو الوسائل الاجدى بين كافة الوسائل المتاحة للوصول إلى هدفها . اي التي تنجح في تحقيق وتأمين التوافق والتلاؤم بين الوسيلة والهدف وفي خلق التأثير النفسي الكافي لزعزعة ثقة الخصم بنفسه وتفتيت إرادته وعزيمته وحرمانه من حرية العمل مما سيؤدي حتماً إلى قبوله بالشروط المفروضة عليه ويعبر أندريه بوفر عن ذلك بقوله (ان القانون العام هو:يتم الوصول إلى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال وضع يؤيد إلى تفتيت معنويات الخصم بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه وهنا تكمن الفكرة الأساسية لحوار الارادات.

ولكي يكون اختيار الوسيلة ناجحا فمن الضروري عمل دراسة واعية للموقف بشتى جوانبه لمعرفة العدو المطلوب قهره وتمييز نقاط ضعفه الأكثر حساسية مع تحليل عميق للتأثيرات الحاسمة التي يمكن ان تحدثها الوسيلة المختارة على معنويات الخصم وهذا يقتضي إنشاء مخطط استراتيجي يتضمن كافة الاعمال الممكنة وردود الافعال المتوقعة عليها محلياً ودولياً لوضع الحلول المناسبة كي يكون المخطط الاستراتيجي مترابط الاجزاء قادر على مواجهة اي مفاجآت أو ردود فعل غير ملائمة أو سيئة التأثير لضمان حرية العمل للخطة الإستراتيجية.

------------------------------------5

البند الثاني :القرارات الاستراتيجية

أولاً : القرار الإستراتيجي

تُفهم الإستراتيجية في العادة على أنها رؤية شاملة على المدى الطويل ، ولكنها تقع تحت رحمة التغيرات المستمرة وغير المتوقعة . أيضا القرارات الإستراتيجية تؤخذ في الكثير من الأحيان في أجواء من الضغط المستمر يكون بدرجة كبيرة أو قليلة . إذا ليس من المدهش القول بأن القرار الإستراتيجي هو واحد من أصعب القرارات التي يمكن أن تحدث ، وأيضا من أعقدها على الإطلاق ، ومن هنا ربما تأتي الندرة في وجود قادة عظام وكبار. فالقرار الإستراتيجي يقع تحت هيمنة التغيرات و التحولات،إنه يتبع مؤشرات متعددة وليس واحداً ، إنه قرار يأتي بعد عدة تقييمات وتقديرات أهمها :

- المجازفة والرهانات .
- الوسائل و الإمكانيات .
- الأخطار .
- الظروف .

أ- المجازفة و الرهانات

وتقع على مستويات مختلفة ،إنها ضرورية من أجل التمييز بين الغايات السياسية والأهداف الإستراتيجية . هذا التمييز في العادة تصعب رؤيته أو تحقيقه كما يقع ضحية للخلط في المفاهيم. ويرى Clausewitz أنه كلما كان الرهان حيوياً كلما كانت المخاطرة مبررة وتستحق الكثير من التضحيات ، وإذا كان الرهان "محدودا" فنعطيه بعض الوسائل التي تتناسب معه ، مع أدنى مستوى من المخاطرة . وعلى المستوي العملياتي ، لابد من تقدير وتقييم التماسك لهذا الهدف أو ذاك . إن التاريخ الإنساني والعسكري بشكل خاص يعطينا أمثلة كثيرة على القرارات التي اتخذت أو استندت على أسس وتقييمات سيئة وخاطئة للرهان ، إن كان على المستوي السياسي/الإستراتيجي أو على مستوى العمليات العسكرية والحروب.

ب ـ الوسائل و الإمكانيات

يرى الإستراتيجيون أنه من الناحية المبدئية ، بأن الوسائل والإمكانيات رغم تحولها وتغيرها إلا أنها سهلة الفهم . مع ذلك ، لابد من اختيار الوسائل التي يمكن توظيفها ، ثم الاختيار فيما بينها ، وبعد ذلك يجب الأخذ بالحسبان عدم الدقة والتأكد الكامل من الرأي الذي تم اتخاذه. اختيار الوسائل يعتمد ، في نفس الوقت ، على إمكانيات الفاعلين بمعنى (يجب التصرف وفق ما لدينا) وأيضا على طبيعة المشكلة المطروحة بمعنى (هذا يقود للغاية التي نريد الوصول إليها).

ج ـ الأخطار

يقول نابليون بونابرت في هذا الصدد:" الحرب لا يمكن أن تكون من غير أخطار، فنحن نرى شرورها أكثر مما نرى شرور الحرب نفسها ، لذلك لابد من إظهار الثقة دائماً"[3]. وجميع فنون الحرب تأخذ في حسبانها دائما الأخطار وتقوم بالتخطيط لها بشكل مسبق ، ومن هنا لابد للوسائل أن تتوافق مع الأخطار المتوقعة ، أو على الأقل ألا تكون أقل منها بكثير . الاحتياط من الخطر يأتي على جميع المستويات ، ثم يوسع هامش الحسابات للصدفة ، ولكن بالمقابل يجب أن يكون هناك استعداد دائم لمعالجة النتائج التي يمكن أن يتسبب بها قرار خاطئ على مستوى عال . هذا القرار يمكن أن يسبب تراكمات خطيرة ولكن يمكن تحييدها بشكل تدريجي إذا تم التخطيط للأخطار المتوقعة .

اليوم ، حساب الأخطار يختلف عن الماضي ، وربما يعود هذا لأن الحرب أو حتى الميادين الأخرى أصبحت تستخدم وسائل متطورة جداً في تطبيق الإستراتيجيات . هذه الوسائل تحاول الوصول إلى ضمانات شبه مطلقة في عدم وقوع أية خسائر لا في الحرب ولا في غيرها ، وقد سمي هذا التيار الجديد في التخطيط لعدم وقوع الأخطار " صفر من الموت"، بمعنى ألا يموت أحد . ولكن على أرض الواقع ليس دائما التطور التقني والتكنولوجي هو من يحدد طبيعة تطور الأخطار ، فالعدو أو المنافس في هذه الحالة هو من يلعب الدور الحاسم.

د ـ الظروف

[3] ـ من رسالة وجهها نابليون إلى الأمير Eugène في تاريخ 30 نيسان عام 1809،وجاءت في كتاب للجنرال Camon بعنوان " الحرب النابليونية" ،الصفحة 326.

هناك من يردد دائما بأن التاريخ لا يعيد نفسه نهائياً ، مع ذلك نرى أننا بحاجة لقراءته بشكل مستمر . في الواقع ، توجد ظروف تلعب دورها بشكل مستمر ومنها الجغرافية ، التقنية و العامل الإنساني ، ولكن لا يوجد حتمية في هذا الشأن ، فكل حالة لها ظروفها الخاصة التي يجب أن تأخذ بالاعتبار في أي قرار إستراتيجي . هذه الظروف الخاصة تعود إلى عوامل جغرافية ، ظروفٍ سياسيةٍ ، دبلوماسية وعسكرية . ويبقى أن نقول بأن قدرة الخصم واستعداده يلعبان دوراً حاسماً .

ويرى نابليون بونابرت أن القرار و التخطيط الإستراتيجي عليهما التوافق مع الظروف التي يمكن ان تتغير بشكل ستمر:" أن تنفيذ العمليات هو تدريجي ويخضع لتأثيرات وأحداث يمكن أن تقع وتتغير كل يوم"[4] .

ثانياً : وسائل القرار الإستراتيجي

إن الأخذ بالحسبان لجميع معايير وتقديرات القرار الإستراتيجي لا يعني أن نبعد جميع الفرضيات المحتملة لصالح واحدة فقط . فالطابع الميز و الغالب على الإستراتيجية هي أنها لها طابع "احتمالي". فمن بين جميع المتغيرات النظرية التي يمكن تقييمها وتقديرها بشكل موضوعي ، إلا أنه يبقى لدينا جانب لا يمكن تقييمه بشكل صحيح إلا من خلال الجانب الشخصي والذي يتعلق مباشرة بتصرفات وسلوك الخصم ، المنافس أو العدو.
عن الطريقة الأفضل للتقييم هي بناء شبكة كبيرة وقادرة على الحصول على جميع المعلومات المطلوبة .
بالرغم من الصعوبات التي تعترض "مهنة" التجسس ، إلى أن كبار القادة السياسيون والعسكريون يعمدون إلى تدعيم هذه المهنة مهما كانت مكلفة وحتى لو أن القوانين تحكم بأشد العقوبات على من يمارس هذه المهنة. إذاً هذه الوسيلة كانت وما تزال هي من الوسائل المتبعة في عملية اتخاذ القرار الإستراتيجي.[5]

ولكن مهما كانت النوعية أو الأهمية التي تتميز بها المعلومة التي نحصل عليها ، فإنه من النادر أن تسمح لنا بإبعاد كلي لعدم التأكد أو عدم اليقين ، أو الحصول على معرفة كلية وأكيدة للموضوع الذي نريده . بمعنى آخر ،

---

[4] ـ من كتاب،"تعليقات نابليون الأول"، الجزء الأول.

[5] ـ انظر، Ernest R.May، "Knowing One's Ennemies. Intelligence Assessment before the Two World Wars"، Princeton University Press، 1986. انظر أيضا، Ralph D. Sawyer، "The Tao of the Spycraft, Intelligence Theort and Practice in Traditional China"، Westview، Boulder-san Francisco-London، 1998.

إن التحليل الموضوعي للوضع والحالة سيترك مكانه في لحظة معينة لتقييم آخر وتطورات أخرى تتعلق بالجانب الشخصي وكما ذكرنا سابقاً . ضمن هذا المجال ، يوجد مدرستين تتحدثان عن المعلومات وهما متخصصتان بها . المدرسة الأولى، وتسمى مدرسة الإمكانيات أو الاحتمالات ، وتنطلق من الوضع الراهن أو القائم من أجل تحديد الحلول التي يمكن إتباعها مع العدو .وهي طريقة اتبعها نابليون بونابرت والذي يقول:" يجب ألا نبحث نهائيا عن تخيل أو تصور ماذا سيفعل الخصم". ومن مميزات هذه الطريقة أنها تجبرنا على الأخذ في الاعتبار جميع الفرضيات ، ومحاولة إيجاد جواب على كل حالة أو فرضية متوقع أن يقوم بها الخصم. المدرسة الثانية، وهي المدرسة المخطَّطَة . تنطلق هذه المدرسة من حالة أو وضع ، من إشارات ودلائل يمكن أن تطبعها بطابعها ، من مذاهب وتيارات ، ومن تجارب سابقة للخصم أو العدو، من سلوك اعتيادي يقوم به الزعيم أو الرئيس ، وتبحث عن تحديد الخطط والنيات التي يرمي إليها الخصم ، وإلى فهم المناورة التي ربما سيقوم بها[6]. بالتأكيد هناك خطورة بتوقع فهم جميع الخطط والنيات التي يريدها الخصم وهذه من العيوب التي تشوب هذه المدرسة. كما أن هذه الطريقة تعتمد في الكثير من الأحيان على وجود عباقرة في هذا التخصص ، وليس طريقة يمكن تطبيقها بشكل دائم .

ثالثاً : مزايا القرار الاستراتيجي

أ ـ الحسنات

- المركزية في المستويات العليا : عادة ما يتم اتخاذ القرارات الإستراتيجية في أعلى المستويات الإدارية، المتمثلة غالباً في مجلس إدارة المنظمة أو المدير العام للشركة ومساعديه ؛ لإلمامهم بإمكانيات وموارد المنظمة.

- يعد القرار الإستراتيجي قراراً حتمياً : إذ ينبغي على الدولة او المنظمة أن تتخذه قبل البدء في عملياتها الإدارية والتشغيلية .

[6] ـ انظر، Bernis،" أجهزة المخابرات"، صدر في باريس عن دار نشر Berger-Levrault، 1934.

- القرار الإستراتيجي غير متكرر :إذ غالباً ما تمثل تلك القرارات معالم رئيسة تسير الدولة او المنظمة على نهجها دون تغيير يذكر .

- قرارات قليلة نسبياً في عددها .

- تتعلق بالمدى الطويل :غالباً ما تخدم تلك القرارات فترات زمنية طويلة قد تمتد لتشمل حياة الدولة او المنظمة.

- قرارات تتعلق بالدولة او بالمنظمة ككل :تتعلق بمختلف الإدارات والأقسام .

- قرارات تنظم العلاقة بين الدولة او المنظمة وبيئتها الخارجية :تهتم بالبيئة الخارجية للدولة او للمنظمة؛ إذ منها تستمد هذه الدولة او المنظمة مواردها ، التي تحدد بشكل كبير مدى استمرار المنظمة واستقرارها بتلك البيئة .

- تتميز القرارات المالية الاستراتيجية بالثبات النسبي طويل الأجل ، وبضخامة الاستثمارات أو الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذها، والاختصاص في اتخاذها مناطاً بالإدارة العليا.

ب- مشكلات القرارات الاستراتيجية

إن بنية المشكلة لهذا النوع من القرارات تكون غير محددة يصعب برمجتها ، وتتعامل القرارات الإستراتيجية مع الأهداف والخطط الرئيسة للمنظمة ، ومن أمثلتها: توظيف وإنفاق رأس المال .



الفصل الثالث

الإستراتيجية كعلم

القسم الاول: مجال علم الإستراتيجية

عندما نحدد الإستراتيجية من خلال إعطاء تعريف لها فإن هذا لا يعني بالضرورة تحديد أو حصر المجال للإستراتيجية كعلم . فالإستراتيجي كمنظر والإستراتيجي الذي يطبق المخططات الإستراتيجية

كلاهما يستطيع استخدام جميع الوسائل . والإستراتيجية تختلف عن جميع العلوم ، حيث بإمكانها الاستفادة من جميع العلوم ، فهي بحاجة للعلوم التجريبية من أجل تطوير وتقييم قاعدتها التقنية ، بحاجة للاقتصاد لتطوير إمكاناتها ، للعلوم السياسية بسبب علاقتها الخاصة مع السياسة ، لعلم الاجتماع من أجل وضع الصراع على أي مستوى في سياقه العام ، للتاريخ للاستفادة من أمثلته والمعلومات التي يقدمها .

بشكل آخر ، يمكننا أن نضع في المكتبة الإستراتيجية جميع الكتب . بداية مع التاريخ ، وخاصة تاريخ الحروب . ثم مذكرات كبار القادة وكبار المؤرخين، فمن الصعب مثلاً أن نقرأ الإستراتيجية القديمة من غير العودة إلى Thucydide ، César و Tacite. أما في العصر الحديث فإن مذكرات Turenne هي إجبارية لفهم الإستراتيجية .

ان تطور النظرية الإستراتيجية في الحياة المعاصرة لم يرفض هذا المصدر القديم ، فمذكرات المارشال Von Manstein (Verlorene Siege) الصادرة في عام 1955 بالإنكليزية ، وعام 1958 بالفرنسية ، و"دفاتر" المارشال Rommel هي جميعها تعتبر مصادر أساسية للإستراتيجية . ولكن معلوماتها تستخرج بصعوبة حيث على القارئ نفسه أن يبذل جهداً من أجل فهمها وفهم النظرية التي أراد الكاتب قولها . وأخيراً يجب القول أن علم الإستراتجية اليوم لا يمكنه استبعاد أي مجال من مجالات العلوم .

ـ علم عسكري وعلم إستراتيجي :

بما ان الإستراتيجية ليست مجالاً مستقلاً . فهي فرع من مجال ضخم جداً ، إنه قيادة الحرب ، وبشكل أشمل اليوم ، قيادة الصراع ، حيث كانت تدعى في الماضي "علم عسكري" (خاصة في العصر الروماني)، أو "فن الفروسية" (في العصر الوسيط)، " فن الميليشيات أو الوحدات" (مع بداية العصر الحديث)، "فن الحرب" (تسمية بدأت تفرض نفسها مع بداية القرن الثامن عشر). والسؤال المطروح ، هل يمكننا فك ارتباط الإستراتيجية من كل هذا التاريخ الذي يعطيها اليوم معناها ؟ في الواقع وحتى

وقت متأخر ، كانت الإستراتيجية دائماً ضمن فن الحرب بمعنى أنها داخل الفكر العسكري ، وهي اليوم تشغل المرحلة العليا في هذا الفكر .[7]

إن علم الإستراتيجية يحتاج مساندة علم التكتيك من غير أن يتضمن الأول جميع ما يتعلق بالثاني . في القرن السابع عشر والثامن عشر تم تطوير فكر تكتيكي مستقل ، ولكن معظم الكتاب العسكريين ركزوا بشكل كبير على جدلية السلام والحرب [8]. بعد ذلك تم انتشار الإستراتجية من خلال اتساع التنظير للتكتيك ، ولكن كان لديها في البداية مفهوماً يربط الحرب بالسياسة . والمشكلة هنا أن جميع هذه الفئآت أو التصنيفات المختلفة لم يتم تحديدها أو تظهر معالمها الخاصة إلا ببطء شديد ، وهذا ما رأيناه عندما درسنا في البداية مفهوم الإستراتيجية وتطور مفهوم هذا المصطلح . إذاً لا يمكننا الادعاء وكما يشير الكثير من منظري هذا العلم ، أنه بالإمكان تحديد مجال أو حقل البحث في الإستراتيجية من خلال الاستناد فقط على مراجع أو مؤلفات إستراتجية "نقية أو خالصة". فلا بد من تبني رؤية متطورة تنطلق من العلم العسكري من أجل الوصول، حالياً، إلى علم الإستراتيجية .

ـ هل هناك عالمية لعلم الإستراتيجية؟

الحرب هَمٌ و انشغال عالمي ونرى ذلك في معظم الأدبيات التي أنتجتها الحضارات المختلفة التي أُرّخت بالكتابة ، ولكن هذا لا يعني أن جميع الحضارات أنتجت أدبيات إستراتيجية تشير إلى الإستراتيجية كعلم. أشهر المؤلفات التي تتحدث عن عالمية علم الإستراتيجية هو ما قدمه Gérard Chaliand في مؤلفه "الانطولوجيا العالمية لعلم الإستراتيجية" (l'Anthologie mondiale de la stratégie). [9] فهو ينقلنا في هذا الكتاب من أيام العبرانيين إلى الإستراتيجية النووية مروراً ببلاد ما بين النهرين و الشرق الأقصى ، ولكنه لا يصل إلى نتيجة إلا بعد أن يدرس العديد من النصوص التي لا يتفق معه العديد من المنظرين أنها نصوص تتعلق بعلم الإستراتيجية . طبعاً يتحدث في كتابه عن التورات و عصر غلغامش (بلاد ما بين النهرين قبل 2000 عام تقريبا من الميلاد)، ثم

---

[7] ـ انظر : Jean Pierre Bois ،" فن السلام في العصر الحديث"، بالفرنسية، باريس، 1997، أيضا ، Hervé COUTAU ، "الإستراتيجية"،مرجع سابق،الصفحة 144.
[8] ـ انظر : Jean Pierre Bois، المرجع السابق.
[9] ـ صدر هذا الكتاب عن دار نشر Laffont، باريس 1990.

يصف الصراعات التي سادت آنذاك ، ولكنها لا تشكل قاعدة لبناء علم للإستراتيجية ولو تضمن العديد من فنون الحرب .

ويعتقد Hervé Coutau :"أنه لا المصريين القدماء ولا الأشوريين ، ولا حتى الفرس لم ينتجوا اتفاقيات عسكرية أو مفاهيم تقترب ولو من بعيد من مفهوم الإستراتيجية أو التكتيك" . فيما يتعلق بالشرق الأقصى ، فقد تحدث الهنود عن مفاهيم اقرب للسياسة منها إلى الإستراتيجية . أما الحضارة اليونانية ، تحدثت من خلال مؤرخيها عن وعي بالأبعاد العليا والراقية لفن الحرب وعن العلاقة بين الحرب والسياسة وهذا ما ندعوه اليوم "إستراتيجية"، ولكن هذا لا يعني صياغة علم أو نظرية للإستراتيجية . في الواقع ، الفكر الاستراتيجي ليس عالمي ، إلا إذا أردنا إضعاف محتواها بإدخال نصوص كثيرة عن فنون الحرب وبأي طريقة داخل "الإستراتيجية". علم الإستراتيجية لديه تاريخ غير مستمر أو غير متصل . ومن بين الحضارات التي طورت فناً للحرب معقداً وعميقاً حتى أننا يمكن أن نسميه إستراتيجية ، العديد منها لم تنتج أية أدبيات إستراتيجية يمكنها أن تحمل هذا الاسم.

- دور العوامل الاجتماعية في علم الإستراتيجية

تحدثنا في الفقرة السابقة وقلنا أن علم الإستراتيجية لديه تاريخ متقطع ، في الواقع هذا التقطع ليس من السهل حصر أسبابه وفهما بشكل كامل . ولكن مع ذلك هناك خمسة عوامل مشتركة بين معظم الذين أرخوا لهذا العلم وأكدوا في نفس الوقت أنها تحتاج إلى تعميق معرفي وتاريخي.

1- الفكر الاستراتيجي يجب أن يستجيب إلى حاجة معينة ، كما يقول Hervé Coutau في كتابه عن علم الإستراتيجية (مرجع سابق،صفحة 146). أما المؤرخ الأمريكي Everett L.Wheeler قام بدراسة مقارنة، للظهور المتزامن تقريباً، للنظرية العسكرية في اليونان القديم وفي الصين أثناء القرن الرابع قبل الميلاد.

وصل المؤرخ الأمريكي إلى نتيجة أن: " رغم الاختلافات الثقافية الكبيرة،إلا أنه وجدت عوامل متشابهة سهلت تطور النظرية العسكرية في قلب هاتين الحضارتين،وأدت في الواقع بين أولى النظريات في الغرب و أولى النظريات في الشرق إلى بناء مواضيع مشتركة". [10]

من بين العوامل المشتركة، أن الصين و اليونان لم تعرفا استقرارا سياسياً بل على العكس كان فيهما الكثير من الحروب، في الصين حروب Royaumes Combattants وفي اليونان حروب Péloponnèse. بمعنى آخر كان هناك طلب كبير على الخبرات العسكرية . ففي اليونان وجد ما يسمى الأساتذة أو Hoplomachoi وهم يعلمون فن القيادة ، أما في الصين فقد أحاط الملك نفسه بمجموعة من المستشارين العسكريين مثل الاستراتيجي الشهير Sun Tzu أو Sun Bin.

2 ـ الفكر الاستراتيجي يفترض انفتاحاً ، حيث يتوجب عليه الاستفادة من مختلف الخبرات مهما كانت وأينما كانت . مع ذلك عبر التاريخ ، تحفّظ القادة العسكريون والسياسيون على مخططاتهم ، وخير مثال على ذلك ما كان يفعله الفينيقيون والقرطاجيون من إخفاء لسير رحلاتهم البحرية بغرض عدم كشفها أمام المنافسين لهم. ومن الصعوبات الأخرى التي كانت أمام انتقال مبادئ علم الإستراتيجية هي وجود مجتمعات لم تعرف الكتابة، وعملية تناقل الأفكار الإستراتيجية كانت شفهية وهذا ما أعاق عملية الانفتاح والمعرفة.

3 ـ الفكر الإستراتيجي يفترض ، في نفس الوقت ، خبرة عملية و نزوع أو ميل للتفكير والتأمل الذي لا يتكرر عادة عند نفس الشخص . فأكبر قادة الحروب كتبوا رؤيتهم النظرية بعد أن استطاعوا التفرغ لذلك وأصبح لديهم القدرة على المراقبة من خارج الحدث. ولكن التنظير الاستراتيجي يفترض كما يرى الكثير من المؤرخين ،مستوى من التعليم و التكوين،كما يفترض أيضا الكثير من الابتعاد عن الذات أو النظرة الشخصية الضيقة.

[10] - Everett WHEELER، " The Origins of Military Theory in Ancient Greece and China"، عن المجلة العسكرية الدولية للتاريخ العسكري، العدد 5، بوخارست، 1980، الصفحة 75.

4 ـ الفكر الاستراتيجي يفترض شكلا من أشكال العقلية القادرة على التجريد. فاليونان القدماء ومعهم البيزنطيون صاغوا أدبا إستراتيجيا لأنهم كانوا مفتونين و معجبين بالفلسفة وعلم اللاهوت. أما الرومان فلم يكتبوا شيئا في هذا الصدد لأنهم ابتعدوا عن التنظير الاستراتيجي واستندوا فقط على الممارسة العملية . في العصر الحديث ، وبعد الانفتاح الذي حصل على العالم في القرن التاسع عشر، الأدب الاستراتيجي الياباني بقي فقيراً، مقارنة بالإنتاج الغني لهذا النوع من الدراسات في الصين ، وقبل انتصار الإيديولوجية الكنفشيوسية .

5 ـ أخيرا، الفكر الاستراتيجي "ربما" يفترض شكلا من أشكال العقلية المحكومة بمبدأ الفعالية . فالفكر الاستراتيجي ، كما الفكر الاقتصادي ، يتطلب تصرفا عقلانيا لشخص يمركز عمله بالكامل حول هدف واحد. فمثلا الرجل الاستراتيجي لن يبحث سوى عن النصر على العدو. وكل ما يمكن أن يؤدي إلى النصر يمكن وضعه في خدمة الإستراتيجية من غير الانتباه إلى الاعتبارات الأخلاقية أو احترام العدو . والفكر الاستراتيجي المعاصر يشارك في "إزالة الأوهام" عن العالم، وقد حلله السيسيولوجيون منذ "ماكس فيبر" و أسس على الفصل بين النشاطات الإنسانية و محاولة عقلنتها rationalisation.

ـ ندرة علم الإستراتيجية

يمكننا القول أن علم الإستراتيجية بقي محصوراً في المجتمعات المتطورة ، والتي كانت في حالة مواجهة مع الحروب ، فيها نقاشات مفتوحة ومحكومة بالبحث عن الفائدة و الأداة . وعملياً، كما يرى بعض منظري الإستراتيجية ، هذه الشروط ليس متوفرة بشكل دائم . فالعصر الوسيط ، على سبيل المثال ، لم يكن قادرا على إنتاج جديد لعلم الإستراتيجية ، بينما أوصل الفكر اللاهوتي إلى القمة مع saint Bonaventure و saint Thomas d’Aquin وآخرين . مع ذلك يمكننا أن نجد كتاباً معزولين هنا وهناك أو أعمال إستراتيجية بأشكال أخرى ، ولكنها لم تكف لبناء فكر إستراتيجية مبني بشكل علمي . وأخيرا نستطيع القول أن الفكر الاستراتيجي تركز حول ثلاثة مدارس إذا صح التعبير، **المدرسة الصينية** ، **المدرسة اليونانية القديمة** بامتداداتها **الرومانية و**

البيزنطية، ثم أوربا الحديثة والتي صدر عنها الفكر الاستراتيجي المعاصر .(Hervé Coutau، المرجع السابق، صفحة 150).

القسم الثاني : نماذج من العلوم الإستراتيجية

البند الاول : الفكر الإستراتيجي الآسيوي القديم

ـ نموذج الفكر الصيني

كان للكتابة مكانة رفيعة في الصين ، وقد كرّس الكثير منها للأشياء العسكرية . ففي القرن الخامس والرابع قبل الميلاد انطلق الفكر الاستراتيجي الصيني ، ولكن اليوم هناك الكثير من هذه الكتابات المفقوده في السابق.[11] ومن أهم أعلام الفكر الاستراتيجي الصيني نجد "المعلم Hsün"، " المعلم Kuan"، Lao Zi, Mo Zi.[12]

أما أشهر الاستراتيجيين الصينيين فكان Sun Zi ، ويعتقد أنه عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . تجاهله الكثير من المؤرخين والبعض الآخر لم يعترف به إلا بعد وقت متأخر . ولكن هناك كتابات جادة تشهد بقدم إنتاجه حول الفكر الإستراتيجي ، أهمها ، ثلاثة عشر مقالاً حول "فن الحرب" استفاد منها معظم القادة في الجيش الصيني قديما.

بعد Sun Zi (Tzu) يأتي Sun Bin وهو حفيده. فقدت أعماله لفترة استمرت ألفي عام ، والسبب أن أعماله لم توضع مع أو من بين "الأعمال السبع" الكلاسيكية التي جمعت في عصر Song . اعتقد المؤرخون أن الاثنين هما شخص واحد ، ولكن عمل الثاني اكتشف في مقبرة صينية عام 1972وهو يدور حول "الاتفاقية العسكرية". يغلب الطابع العملي على رؤيته الإستراتيجية أكثر من جده . أيضاً تحدث عن الدعم اللوجستي و دوره في زيادة فعالية إطالة الحملات العسكرية . وأخيراً يمكن القول أنه كان أقل اهتماماً بالتنظير الإستراتيجية من جده .
أسس Sun Zi فكراً إستراتيجياً هاماً . ثم بعد عقود عدة جاء إستراتيجيون آخرون مثل الجنرال Cao Cao وهو من أهم العسكريين في عصر أسرة Han ، و Li Quan الذي عمل في ظل وجود الأسرة المالكة Tang في القرنين السابع والثامن بعد الميلاد ، ويأتي بعده He Yanshi و Zhang Yu في عصر الأسرة المالكة Song . معظم هؤلاء وجدوا في عصر Royaumes Combattants ، أي قبل توحيد الإمبراطورية ، حيث عرف الفكر الإستراتيجي تيارين أساسيين ، تحليلا عميقا للعلاقة بين الحرب والسياسة من قبل التيار الأول، أما التيار الثاني فقد كان لديه اتجاها ضد "العسكرة" وشارك بشكل متناقض في تطوير الفكر العسكري، فهو يرفض الحرب ويقبل حق الدفاع عن النفس.

في نهاية القرن الحادي عشر ، الإمبراطور Shen Zong أوقف ما سمي قائمة "السبعة أعمال" وليتم التعامل مع قائمة جديدة من المؤلفات الإستراتيجية ، وهي بحسب Hervé Coutau :

---

[11] ـ تشير بعض الدراسات البيبلوغرافية إلى وجود فهرس عسكري صيني وضعته الصين حاليا ويحصي أكثر من 4000 عنوانا حتى تاريخ ثورة عام 1911.
[12] ـ عاش هؤلاء في منطقة "شانغ يونغ"، وقدر صدر في باريس كتاب بعنوان " كتاب أمير شانغ"، عن دار Flammarion،عام 1981.

- Wu Zi Bingfa، كتاب وضعه جنرال من القرن الرابع قبل الميلادي ، يتألف من عشرة فصول تتركز جميعها على تحقيق المصالحة بين الأخلاق الكنفشيوسية و الشؤون العسكرية.

- Sima Fa ، وهو نص مختصر ظهر في نفس العصر ويمكن أن يترجم عنوان كالتالي" كتاب معلم الفروسية" . يتحدث على إدارة الجيش، ضرورة أن تكون الحرب عادلة و يحلل قليلا المناورات العسكرية وقيادتها.

- Wei Liao Zi، كتاب أعده مشرع صيني في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، ويتحدث فيه عن تنظيم الجيش.

- San lüe ، أو "الإستراتيجيات الثلاث"لمؤلفه Huang Shegong ، يحلل في سيطرة الحكومة و الأبعاد السياسية للإستراتجية .

- Tai Gong Liutao، أو " التعليمات السرية العشرة"، كتبها Taigong ، ويقيم هذا الكتاب بأنه الأكثر قوة وإنجازاً لمدرسة الإستراتيجيين.

- Tang Li Wendui ،" سؤال و جواب بين Tang Taizong و Li Weigong"، ظهر في القرن السابع الميلادي ، يركز على الأمور العسكرية بشكل كبير، ثم يدرس الإستراتيجية والتكتيك .

إن عملية انتشار الثقافة الإستراتيجية لم تتوقف على النخبة الإدارية ، بل دخلت إلى الأدب والمسرح الشعبي لدرجة أنه من الصعب ايجاد مثلها في الدول الغربية.

- الفكر الإستراتيجي الصيني و الغرب

هناك اتجاه دائم عند الغربيين يعتقد أن الفكر الصيني هو حكمة أكثر مما هو علم ، بمعنى أن الصينيين يفضلوا أن يقترحوا أكثر مما يحددوا بدقة ما يريدون . في الواقع هذا الرأي يتناسى السياق الثقافي العام التي ظهرت فيه الكتابات الإستراتيجية الصينية .

مع بداية القرن الثامن عشر، قدم أحد اليسوعيين الفرنسيين وهو الأب Amyot الأفكار الصينية إلى أوربا، وذلك عبر كتابه "الفن العسكري عند الصينيين"،ويعود بكتابه إلى التحليلات حول الحرب في الصين والتي سبقت العصر المسيحي ، والكتاب هو أيضا تقديم للعديد من الجنرالات الصينيين ، وتمت ترجمة هذا الكتاب من الفرنسية إلى الألمانية في عام 1779. ولكن عملياً يمكن القول أن الروس وحدهم قدموا ترجمة كاملة للإستراتيجي الصيني الشهير Sun Zi في عامي 1860 و 1889. وعلينا أن ننتظر بداية القرن العشرين حتى نرى الاهتمام الأوربي الحقيقي بالفكر الاستراتيجي الصيني عبر الترجمة الإنكليزية التي قدمها الجنرال Calthorpe للكتاب الذي ذكرناه سابقاً وترجمه الروس[13]. ثم عاد الروس،الألمان و الإيطاليون بتقديم ترجمة جديدة لنفس الكتاب في أعوام 1957،1950 و 1950. أما بالنسبة للعرب فليس هناك أي اهتمام على الإطلاق بالفكر الإستراتيجي الصيني .

البند الثاني : الفكر الاستراتيجي القديم

1- التكتيكيون و الإستراتيجيون اليونان القدماء :

في الواقع لم يبق الكثير من التراث العسكري اليوناني القديم ، وما نقل منه الى اللغات الأوربية الأخرى مثل الإنكليزية والفرنسية لا يساعدنا في التعمق به ، بل نحتاج لمعرفة اللغة اليونانية حتى نستطيع التوسع أكثر في هذا التراث . مع ذلك يمكن القول أن اليونان امتلك العديد من التحليلات التكتيكية والإستراتيجية في عصرها القديم . ووفق كتاب نشر في أحدى المدن الفرنسية [14] ، فإن "الإسبارطيون" كانوا أول من كتب ، بالاستناد إلى تجاربهم في الصراع والحرب ، تحليلاً لهذه الصراعات ، وكانوا أول من علم هذه الأفكار لشبابهم من خلال معلمين عسكريين سموهم بالتكتيكيين. (الصفحة 57، من الكتاب الفرنسي المذكور أعلاه).

---

[13] - انظر : Frank A. Kierman and John K.Fairbank، " Chinese Ways in Warfare "، جامعة كامبردج و جامعة هارفرد، 1974.

[14] - Flavius Végèce، " الفن العسكري"،بالفرنسية، Bordeaux، Ulysse، 1998.

يعتبر Enée الأقدم والأكثر شهرة كما يعتقد المؤرخون من بين هؤلاء الإستراتيجيين و التكتيكيين . عاش في القرن الرابع قبل الميلاد وليس هناك الكثير عن حياته . ألّف موسوعة عسكرية في عدة أجزاء تم تحليلها بعده (Enée) بثلاثة قرون . يعود هذا التحليل للإستراتيجي اليوناني Asclépiodote الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد . يقول Alphonse Dain في كتابه "الإستراتيجيون البيزنطيون"، وفي الصفحة 326 منه :" لم يكن Asclépiodote عسكرياً في مهنته ، بل اهتم بالتدوين وبمنطق إدارة الصراعات ، لقد نظر لوحدات الجيش وتنظيم المعارك في مقدونيا".

في نفس الفترة ظهر استراتيجي آخر وهو Onesandros لم يكتب كثيرا حول الحروب أو العلوم العسكرية بل ترك لنا كتابا حول وظائف ومهام الجنرال . جاء بعده Elien وهو أيضا عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وقد ألف كتاباً أهداه إلى "طروادة" وكان الهدف منه فهم الكتاب الذين عاشوا من قبله . نستنتج أن **الفكر الإستراتيجي اليوناني القديم اعتمد بشكل كبير على الممارسات العملية أكثر من التنظير** .

مع ذلك يمكن متابعة التنظير للفكر الإستراتيجي مع Xénophon و Thucydide[15]. فقد تحدث Thucydide عن "تاريخ حرب Péloponnèse" مبينا من دون أدنى شك أو غموض ، أن البعد الإستراتيجي كان حاضراً ومفهوما من قبل اليونان القدماء. أيضا Xénophon كان أول كاتب عمق دراسته التاريخية من خلال التفكير النظري وخاصة حول التكتيك،وذلك في كتابه "تحليل الفروسية" والذي ينطلق من مفاهيم إستراتيجية.

2- المقاربة البراغماتية عند الرومان :

يعتقد الكولونيل "رتبة عقيد" Reichel أن الرومان :"كان لديهم فكرا عسكريا أصيلاً وجديداً ، وصل إلى عمق الأشياء كما وصلنا في محتوى العديد من النصوص الرومانية"[16] . أما التفوق التكتيكي والاستراتيجي الروماني خلال قرون متتالية لم يكن من غير هذه البنية التنظيمية الدقيقة للعقيدة العسكرية الرومانية . هذه البنية كانت ثمرة للممارسة والخبرة كما يقول Polybe:" المرشحون للوظائف العامة كان عليهم المشاركة في عشر حملات عسكرية قبل اختيارهم من قبل المواطنين" [17]. رغم ذلك لم تحول الخبرات الرومانية إلى مؤلفات استطاعت أن تشكل أدباً إستراتيجياً رومانياً في النهاية.

لكن يوجد بعض التحليلات للتكتيك والإستراتيجية . ففي القرن الثاني قبل الميلاد كتب أحد أشهر الرومان في ذلك العصر وهو Caton مؤلفه " De Re militari" ولم يبق منه شيئاً . أما Polybe فكتب "Taktika" واليوم يعتبر من الكتب الرومانية المفقودة . والكاتب الأكثر شهرة في الإمبراطورية الرومانية كان Frontinus فقد قدم مؤلفا خصصه للتعليق على "تعليقات عسكرية عند هوميروس". أما Arrien كان يعتبر من ورثة التكتيكيين اليونان ، وقد قدم أيضاً عمله الخاص به " فن التكتيك" الذي قارن فيه بين التكتيك اليوناني و المقدوني القديم و التكتيك الروماني[18].

ظهرت بعض الانتقادات للفكر التكتيكي والإستراتيجي الروماني كان أهمها ما كتبه Brian Campbell:" الرومان لم يكن لديهم أكاديمية عسكرية ، ولا يوجد عملية مؤسساتية للتكوين و التدريب فيما يتعلق بالإستراتيجية والتكتيك،ولم يكن لديهم وسائل منظمة ومنهجية لتقييم المرشحين للوظائف العليا"[19].
يعتبر القيصر الروماني من المعلمين النادرين لفن الحرب خاصة انه كان في نفس الوقت منظرا للإستراتيجية وممارسا لها . لقد حقق انتصارات عسكرية كبيرة وقدمها في مؤلفات تتحدث عنها ، حيث لاقت هذه المؤلفات نجاحات واسعة في عصرها ، ونذكر منها (حرب Alexandrine،حرب إسبانيا،حرب أفريقيا). ما يميز مؤلفاته أنها جمعت التحليل العسكري للحرب الأهلية و تحليل السياسات القائمة ، بمعنى تحليل الإستراتجية من خلال ظروف سياسية أو سياق سياسي قائم .

---

15 - Xénophon،" الرسائل الجميلة"، ترجمة M. Bizos and E. Delebecque، باريس،نشر مجموعة الجامعات الفرنسية،1971-1978.
16 - Daniel REICHEL،" الصدمة"، منشورات الجيش السويسري، قسم الخدمات التاريخية، 1984، الصفحة 38.
17 - William V. HARRIS،" War and Imperialism in Republican Rome، الصفحة من 327 إلى 370، منشورات جامعة أكسفورد، Clarendon Presse، 1985.
18 - P .A . STADTER، " The Ars Tactica of Arrian"، ترجمة عن النص الأصلي، صدر عن Classical Philology. 1987.
19 - Brian CAMPBELL ، "Teach Yourself to Be a General"، صدر في صحيفة " الدراسات الرومانية"،1987، الصفحة 22.

بعد القيصر، جاء مؤرخو الإمبراطورية ، ومن أهمهم Tacite. وهو كاتب عسكري،قدم مؤلفا يحتوي على معلومات كثيرة موضوعية ومتماسكة حول إستراتيجية الدولة العظمى أو الإمبريالية .[20]

3- الفكر البيزنطي :

ترك البيزنطيون العديد من المؤلفات التي تحدث عن المؤسسات العسكرية ، ونجد فيها أدباً إستراتيجياً مزدهراً في الكثير من الأحوال ، رغم تركيزهم الكبير على قيادة المعارك أكثر من أي شيء آخر . ولكن التراث الإستراتيجي البيزنطي فقد في معظمه . من الأسماء الإستراتجية المعروفة عن تلك الحقبة اسم Syrianos القاضي والذي كان صلة وصل بين اليونان القدماء و بيزنطية ، حتى أن الإمبراطور Constantin السابع طلب من ولده أن يحمل معه في حملاته العسكرية كتب كل من Polyen و Syrianos. يذكر هنا أن مجموعة من الدراسات المجهولة في الإستراتيجية يرجعها المؤرخون في بعض أجزائها إلى Syrianos. [21]

اليوم تهدف مجمل الدراسات عن الفكر الإستراتيجي البيزنطي إلى إعادة ترميم والتعرف على النصوص المفقودة أو المجهولة . ومن هذه الدراسات "مجموعة الإستراتيجيين" التي تهدف للتعرف على التراث الإستراتيجي البيزنطي .[22]

3- الفكر الإستراتيجي العربي/الإسلامي :

تأثر العرب و الفرس كثيرا بالكتاب البيزنطيين . لكن العلوم الدينية في القرآن طغت على فكر إستراتيجي حقيقي عند العرب . في كل الأحوال وبعد مراجعة للعديد من الكتب الغربية حول هذا الموضوع (حيث لم يتوفر مراجع عربية)، هناك إجماعاً على أن أهم المخطوطات أو التراث الفكري الإستراتيجي العربي فقد في بغداد بعد أن سقطت بيد المغول . وفي القرن الرابع عشر، كتب المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون عن الحروب والطرق المستخدمة في المعارك من قبل مختلف الشعوب ، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:"ليس من المؤكد وجود نصر في الحرب،حتى ولو وجد تفوق في التسليح والفعالية . النصر و التفوق في الحرب يعودان للحظ و الصدفة".(نص مقتبس من كتاب Gérard Chaliand، بعنوان "الانطولوجيا العالمية للإستراتيجية"،الصفحة 499).

في مصر خلال العهد المملوكي ، القرن الثالث عشر و السادس عشر، وضعت العديد من المؤلفات التي تقترب من التكتيك والإستراتيجية من بينها كتاب "تعليمات رسمية للتعبئة العسكرية" لصاحبه "ابن منقولي" (لدينا شك في صحة الاسم أو طريقة كتابته). هذا الكتاب يعالج الحملات البرية ويتحدث باختصار عن المعارك البحرية[23]. في إمارة غرناطة وضعت العديد من الآداب العسكرية والتي حاولت فهم آليات فن الحرب عن المسيحيين ، وفي القرن الثامن عشر تم الكشف عند العديد من المخطوطات كان أهمها مخطوطة بعنوان"الفن العسكري" كتبها محمد بن عبد الله ، و "الفن العسكري والفروسية" كتبها علي بن عبد الشامان بن هزيل ، أيضاً "تحليل ومعالجة الصراع" مؤلفه مجهول حتى اليوم . أما ابن هديل الأندلسي فقد ألّف في القرن الرابع عشر مجموعة حول فن الحرب تضمنت مبادئ لقيادة المعارك و الحروب . (وردت هذه المعلومات في كتاب " الانطولوجيا العالمية للإستراتيجية"، مرجع سابق، الصفحة 484-486، و الصفحات 519 - 522).

البند الثالث : الفكر الإستراتيجي الأوربي الحديث

يعتبر الفكر الإستراتيجي في العصر الوسيط فقيراً جداً . ولم يتطور هذا الفكر بشكل حقيقي إلا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . الفكر الإستراتيجي العسكري بدأ الإعلان عن نفسه بشكل واضح في إسبانيا، مع كتاب "Libro de la Guerra" (كتاب الحرب) حوالي عام 1420 ، وقد كتبه الماركيز

[20] - انظر: Pierre LAEDRICH، " حدود الإمبراطورية، إستراتيجيات الإمبريالية الرومانية كما جاءت في كتاب Tacite"،بالفرنسية،صدر في باريس عن دار نشر Economica،المكتبة الإستراتيجية 2001.

[21] - انظر: Constantine ZUCKERMAN، "The Military Compendium of Syrianus Magister"، 1990.

[22] - انظر: Walter E. KAEGI، "Some Thoughts on Byzantine Strategy"، Brookline، The Hellenic Studies Lecture، 1983.

[23] - انظر: Vassilios CHRISTIDES، " Ibn al-Manqali and Leo VI : New Evidence on Arabo-Byzantine Ship Construction and Naval Warfare"، Byzantino-Slavica، LVI، 1995.

Vellena، أيضا كتاب"le Tratado de la PERFECCIÓN del triunfo militar" (تحليل الانتصار العسكري) حوالي عام 1459 ، وكتبه Alfonso Hernandez.

في فرنسا ، نجد العديد من الكتاب مثل Robert de Balsac وكتابه " مبادئ الصراعات النبيلة" في عام 1502، وفي إنكلترا في نفس الفترة الزمنية نجد كتاب "تحليل لفن الحرب" وضعه Béraud Stuart، وفي ألمانيا كتاب "Kriegsbuch" (كتاب الحرب) لمؤلفه Philippe von Seldeneck نحو نهاية القرن الخمس عشر. في إيطاليا بعد كتاب " Semideus liber tertius de re militari" عام 1438 لمؤلفه Catone Secco، نجد كتاب " De Re militari" لمؤلفه Roberto Valturio،وكان أول كتاب يتحدث عن التحليل العسكري ويتم طبعه. [24]

1- ميكيافلي: التكتيكي و الإستراتيجي :

المؤلف الأكثر شهرة في القرن السادس عشر هو مؤلف ميكيافلي الذي يحمل عنوان " L'arte della Guerra" فن الحرب وفي الواقع هو كتابه الوحيد الذي نشر أثناء حياته . كما في كتاب "الأمير"، الكتابات العسكرية عند ميكيافلي "هي بشكل أساسي كتابات سلبية ، أو نقد للمؤسسات العسكرية التي كانت سائدة في عصره"[25]. إن تأثير "فن الحرب" كان كبيراً واستمر طويلاً :" لقد أصبح من الأركان الأساسية للآداب العسكرية .
وتمت إعادة طباعته سبع مرات في القرن السادس عشر، ثم ترجم إلى معظم اللغات الأوربية ، في فرنسا عام 1546، في إسبانيا عام 1536، في إنكلترا عام 1560، في ألمانيا عام 1623، في اللاتينية عام 1610"[26]. بعد ذلك سيعاد طبعه باللغة الروسية في عام 1839. في هذا الكتاب تحدث ميكيافلي عن العديد من المحاور الهامة ونوجزها بما يلي:الكتاب الأول،في عدم أهمية ووهم حماية الممرات،الكتاب الثاني:حول المصلحة من قيام حرب ما،الفصل العاشر من الكتاب الثاني :حول العلاقة بين المال والحرب، الكتاب الثالث: حول المعلومات وأهميتها في الحرب.أخيرا إذا وضعنا كتابي "الأمير" و "فن الحرب" جنبا إلى جنب نستطيع القول أن ميكيافلي أعلن ولادة و تسريع ظهور فكر إستراتيجي منظم ومؤسس.

2- المفكرون الإنكليز و الفرنسيون :

عرف الفكر الإستراتيجي الإنكليزي تأخراً كبيراً بعد حرب"المائة عام" وحدوث القطيعة بعد نهاية هذه الحرب مع القارة الأوربية . بشكل عام لم يستطيع هذا الفكر تحقيق أي تطور بل تمسك بالإنتاج الفكري القديم أو الماضي مثل "النظرية العسكرية الإنكليزية في القرن السادس عشر"والتي ستصبح مسيطرة على التفكير العسكري الوطني . كما أن العديد من الكتاب سيلجؤون على الماضي وخاصة على "الانتصارات الشهيرة للملوك التي حملت اسم إدوارد وهنري في التاريخ الإنكليزي"[27]. وكان الكاتب الإنكليزي الأكثر أهمية والمثال على هذه الحالة هو John Smythe في كتابه "خطابات عسكرية" عام 1590، أيضا Roger Ascham و Matthew Sutcliffe في كتاب " The Practice, Proceedings and Laws of Arms" عام 1593.

ويمكننا أيضا أن نذكر بعض المفكرين و مؤلفاتهم بشكل متسلسل كالتالي:

- Roger William (A Briefe Discourse of Warre, 1590).
- Humphrey Barwick (A Briefe Discours, concerning the force and Effect of all manual Weapons of Fire, 1594).
- Thomas Smith (The Art of Gunnery, 1600).
- Robert Barret (The Theorike and Practike of Moderne Warres, 1598).

---

[24] - انظر : Philippe CONTAMINE،" مرجع مجتمع أصدقاء متحف الجيش"، بالفرنسية، صادر عام 1997،الجزء الثاني، العدد 114، الصفحة 50؛ أيضا : لنفس الكاتب " الحرب في العصر الوسيط"، بالفرنسية،باريس، المطابع الجامعية لفرنسا، 1980،الصفحات 356 - 357؛ أيضا: René Quatrefages،" الفكر العسكري الكتلاني وتأثيره على الحرب في بداية العصور الحديثة"، مدريد - إسبانيا،1990،الجزء الثاني،الصفحة 215.

[25] - انظر :Félix GILBERT، " ميكيافلي: ولادة فن الحرب"،ضمن كتاب Edward Mead EALE،"معلمو الإستراتيجية"، الجزء الأول، الصفحة،23. (بالفرنسية).

[26] ، المرجع السابق، الصفحة 30 - 31.

[27] - انظر: Claude GAIER: "جيوش ومعارك في عالم القرون الوسطى"، صادر في بروكسل،بلجيكا، جامعة De Boeck، 1995،الصفحة 331.

يشار هنا إلى أن الحرب الأهلية أثرت بشكل كبير على إنتاج الفكر العسكري في إنكلترا، خاصة أنها استمرت لوقت طويل جدا.

أما الفرنسيون فقد استفادوا كثيرا من الحروب الإيطالية مما فتح أمامهم مجالا واسعا للخبرة ، وكانت البداية مع كتاب " أشجار ورد الحروب" في عام 1502،وقد كتب بناءا على طلب الملك لويس الحادي عشر من أجل تربية وتعليم ولي عهده ، وقد استخدم ميكيافلي عنواناً مشابهاً لهذا العنوان في عام 1510 في كتابه "شجرة الصراعات". بعد ذلك وضعت كتب كثيرة في فرنسا تتناول فن الحرب وكان أهمها " معلومات أو معرفة حول تأثير الحرب" لمؤلفه Rémy Rousseau نشر عام 1548، ثم ترجم إلى معظم اللغات الأوربية.

3- المفكرون الألمان :

أنتج الألمان العديد من المؤلفات الإستراتيجية العسكرية ، خاصة أنها عرفت حروباً بين مقاطعاتها أو مع الإمبراطور نفسه . الكاتب "فيليب" وهو دوق Clèves ، في مقاطعة Flammand وكان تحت حكم Habsbourg ، أعطى ما بين عامي 1508 و 1516 "معرفة حول كل أشكال الحرب البحرية والبرية".

جاء بعده Reinhard وهو كونت Solm،وقد ألف مجموعة من ثمانية كتب من غير أن يعطي لها عنواناً ، مابين عامي 1544 و 1549؛ ثم L. Fronsberger وقد قدم خمسة كتب بعنوان " Fünff Bücher von Kriegsregiment und Ordnung"
(خمسة كتب في الحرب و نظام الأفواج أو الحشود)، ما بين عامي 1554 و 1556 وقد كانت لهذه الكتب نجاح كبير وواسع.

أما الكاتب الأكثر شهرة فكان Lazarus von Schwendi، وكان قائدا للأركان أو للجيوش في عهد الجيش الإمبراطوري ، وقد تأثرا كثيراً بميكيافلي لاسيما عندما كتب Kriegsdiskurs "خطابات الحرب" بين عامي 1571 و 1577، داعياً إلى جيش دائم و منظم . بعد ذلك جاءت حرب السنوات الثلاثين لتستخدم أدوات تكتيكية جديدة واستمرت هذه الأدوات طويلاً لتؤثر على التكوين الفكري الإستراتيجي الألماني الذي استفاد منها كثيراً، ويجب الاعتراف هنا بأن السويسريين كانون من أهم أذا لم نقل أنهم مخترعو التكتيك الحديث .

4- ملاحظات حول الإستراتيجية في القرن السادس عشر :

يمكن القول بان الجوانب غير العسكرية ، السياسية و الاقتصادية ، لعبت دورا وكان لها حضوراً مميزاً في الفكر الاستراتيجي[28]. إنه العصر الذي فرضت فيه "الميركنتيلية" mercantilisme (نظرية اقتصادية نشأن على أنقاض النظام الإقطاعي وتفسخه وتدعو إلى تنظيم الاقتصاد) ، العديد من المشاكل في العلاقات بين الحرب والاقتصاد ، خاصة عندما ألحت على أهمية التجارة الخارجية والمواجهات التي يمكن أن تنشأ عنها[29]. فالحرب كانت وسيلة لإدخال المال إلى صندوق الدولة ، والاقتصادي و الفيلسوف الكبير "جان بودان" لم يتردد في طلب ذلك وفي وصفه أيضا في كتابه "الجمهورية" عام 1576. أما Mendoza فقد أطلق جملة شهيرة جدا عرفت ازدهارا كبيرا وتقول :" النصر سيذهب للذي سيمتلك آخر écu" وهو عملة فرنسية قديمة". مع ذلك ، ورغم الصعوبات الكثيرة أمام ولادة علم للإستراتيجية ، فإنه لن يمضي وقت طويل حتى يظهر فكر إستراتيجي حقيقي .

القسم الثالث : الإستراتيجية و القرن السابع عشر

[28] - Philippe CONTAMINE، مرجع سابق، الصفحة 364.
[29] - انظر: Edmond SILBERNER، " الحرب في الفكر الاقتصادي في القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر"،بالفرنسية، صدر في باريس،دار نشر Sirey،1939.

يتميز القرن السابع عشر بإنتاجه الفكري حول التكتيك ، والمشكلة الأساسية التي كانت أمام الإستراتيجية هي التخصص أو الحقل ، فقد كان هناك حاجة لآليات جديدة ضرورية تتوافق مع نظام جديد للمعارك . قدم Maurice Nassau، في هذا المجال ، تجديداً و ودعماً كبيراً للإنتاج النظري حول التكتيك . لكن هذا الإنتاج وغيره تأثرا سلباً وبشكل كبير بظهور أفكار جديدة استطاعت تغييبه وأهمها أفكار عصر الأنوار . ومن جهة أخرى كان للصراعات داخل القارة الأوربية تأثير من حيث ان الممارسة سبقت النظرية ، علماً أن بعض المؤرخين مثل Antonio Espino Lopez يعتبر أنه في القرن السادس عشر:"تم إنتاج أعمال نبيلة كان لها أهميتها مقارنة بالكلاسيكيات في نهاية القرن السادس عشر"[30] .

1- صعود أوربا الشمالية :

يعتبر الكثيرون أن "النموذج الهولندي" أحدث توازناً في الآداب العسكرية لصالح أوربا الشمالية ، بعد أن كانت خاضعة للمدرسة الإسبانية/الإيطالية في القرن السابق[31]. فالهولنديون هم من أهم من أسس مقاربة أكثر علمية لفن الحرب وللتنظيم العسكري.

Johan Jakob von Wallhause مدير أول أكاديمية عسكرية والتي أسسها Jean Nassau ، ترك كتابا غنيا حول توظيف مختلف الأسلحة في عام 1615 وقد ترجم إلى معظم اللغات الأوربية ، وهو الكتاب الأكثر قراءة في ذلك العصر.(Hervé BEGARIE،المرجع السابق).

في إنكلترا،وقبل الحرب الأهلية،ظهرت العديد من الدراسات العسكرية التي مهدت الطريق أمام "نموذج جديد للجيش في عهد كرومويل"،مستفيدة من أعمال خارجية مثل " The principales of the art Militarie" الذي يتحدث عن الجيش الهولندي.

2- انحطاط أوربا الجنوبية :

يرى مؤرخو الإستراتيجية أن بلدان أوربا الجنوبية أصابها تراجع فيما يتعلق بالفكر الإستراتيجي ، وذلك لصالح توازن جديد عاد إلى البلدان الأنكلو - سكسونية . ولكن رأياً آخرا يرى أنه رغم التراجع النسبي لهذا الحقل الفكري في أوربا الجنوبية إلا أن إنتاجاً غزيراً وجد في ذلك العصر لكنه بقي غير معروف. والأمثلة على ذلك كثيرة كما يرى هؤلاء: منها الفهرسة التي وضعها Francisco Barado، و الفرضيات الجديدة لصاحبها Antonio Espino Lopez والتي تغطي جميع حقول فن الحرب .

أما التكتيك فتمت دراسته من قبل Fernando Alvia Castro و Cristobal de Rojas ثم Luis méndez de Vasconcellos.

ونجد أيضا بعض الكتاب الذي عالجوا تنظيم الجيوش والعديد منهم وصل إلى مرحلة الحديث عن الإستراتيجية،كما كان مع Francisco Melo في عام 1638 وكتابه " Politica militar y avisos de generales" (آراء عامة في السياسة العسكرية).

الإنتاج الإيطالي كان أقل غزارة من القرن السابق ، ويظهر أن هذا منطقياً ،حيث أن إيطاليا لم تعد مسرحاً للحروب الأوربية[32]. أما الكاتب الاكثر أهمية في هذه المرحلة الإيطالية فقد كان Giorgio Basta وهو من أصول ألبانية ، وخاصة في كتابه " Il maestro di campo general " الصادر في عام 1606، ثم كتاب "Del governo dell'artigliera "و صادر عام 1610.

3- الفكر العسكري الفرنسي :

في فرنسا قام Louis de Montgomery بتحليل إصلاحات Maurice de Nassau وقدر ذكرناه في السابق ، أيضاً Jérémie de Billon تحدث عن الأنظمة المختلفة للمعركة في كتابه "مبادئ فن الحرب" الصادر في أعوام 1641،1636،1622،1612 . أما دوق Rohan وهو من زعماء الحزب البروتستانتي فقد نشر كتابه "القائد الكامل" في عام 1636 وقد كان مثله الأعلى في هذا الكتاب هو "القيصر". وفي عام 1663 صدرت مخطوطة "كتاب الحرب" لمؤلفه Aurignac ويصف فيه المبادئ الخمس للعمل العسكري والتي هي : **العسكرة ، السير، القتال ، الهجوم ، الدفاع عن الأماكن .**

وأخيرا عمد الفرنسيون إلى ترجمة الكثير من الكتب الصادرة في الدول الأوربية الأخرى على لغتهم.

30 - Antonio LOPEZ ،" الحرب والثقافة في العصر الحديث"،بالإسبانية،إسبانيا،الصفحة 77.

31 - Hervé BEGARIE، مرجع سابق، الصفحة 180 - 190.

32 - انظر: Gregory Hanlon، " The Twilight of a Military Tradition : Italian Aristocrats and European Conflicts 1560-1800 ،صادر في لندن، دار نشر UCL Press – Taylor and Francis،1997.

4- Montecuccoli الإستراتيجي الأول :

عرف النصف الثاني من القرن السابع عشر سيطرة المفكر الإيطالي Montecuccoli [33] ، فقد كتب عن قيادة الجيوش بشكل وصل إلى الدراسات الإستراتيجية ، مع تصنيف للحروب(أهلية أو خارجية ، دفاعية أو هجومية ، بحرية أو برية) ثم قارن بين الحرب بلعبة الشطرنج . لكن جميع كتاباته لن تنشر بشكل حقيقي وواسع إلا بعد موته ، وأهمها "الفن العسكري" الذي هر باللغة الإيطالية في عام 1653، والإسبانية 1693، أما الكتابات المتبقية لم تنشر حتى القرن الثامن عشر . كتب مذاكراته بالفرنسية وطبعت تسع مرات بين عامي 1712 و 1760. اعتبر كتابه " Della Guerra col Turco in Ungheria" هو الأكثر شهرة وتأثيراً،حيث أنه طبع سبع مرات بالإيطالية،ست في الفرنسية،اثنتان في اللاتينية،اثنتان في الإسبانية،اثنتان في الألمانية وواحدة في الروسية.

القسم الرابع : الإستراتيجية في القرن الثامن عشر

1- حوار التكتيك في فرنسا :

بدأ الفكر العسكري بالتفتح أكثر في القرن الثامن عشر . ويعود تطوره إلى التعقيدات المتنامية لفن الحرب ، قوة الدولة وإلى حالة السلام الطويلة في القارة الأوربية . أيضاً يعود هذا التطور إلى جانب فكري متطور من خلال تطور عمليات الطباعة والنشر، ازدهار الكتابات العسكرية و اهتمام العامة بالقضايا العسكرية[34]. عرفت هذه الفترة الحديث عن التكتيك أكثر من الاهتمام بالفكر الاستراتيجي بشكل عام .

من أهم الدراسات التي ظهرت في هذه الفترة " اكتشافات جديدة حول فن الحرب" في عام 1724، ثم جاء بعده "تاريخ Polybe" ونشر منه ستة أجزاء بين عامي 1727 و 1730، وأعيد طبعه في عامي 1753 و 1774، أما مؤلف الدراستين فكان " Folard". [35] في منتصف القرن ، ألّف المارشال Maurice Saxe دراسات نشرت بعد موته في عام 1756 والتي تركز على " روح قوانين التكتيك". وقد افتتح دراساته أو مؤلفاته بجملة شهيرة نجدها في مقدمة الكثير من الكتب التي جاءت بعده مثل القول " الحرب هي علم مغطى بالظلام ، في داخلها لا نخطي خطوة واحدة مؤكدة ؛ تقييماتنا المسبقة هي الأساس والقاعدة . كل العلوم لديها مبادئها ، بينما الحرب فقط لا تملكها حتى الآن".

في أعوام 1770-1780، الحوار حول التكتيك بقى مكثفاً في فرنسا إن كان في مجال العلوم العسكرية البحرية أو العلوم العسكرية البرية . واستمر هذا حتى بدايات تبلور الأفكار الإستراتيجية في فرنسا.

2- ظهور البعد الإستراتيجي في فرنسا:

هذا الفكر الإستراتيجي ، الذي كان مؤسسات على الكثير من التكتيك ، بدأ بالتدريج الانتقال إلى الإستراتيجية. حيث أن النمو في الفعاليات العسكرية وفعاليات الجيوش سمحت باتساع ميدان المعركة وبالتالي الحاجة إلى تخطيط إستراتيجي شامل. النصف الأول من القرن الثامن عشر هيمنت عليه ثلاثة أسماء هي Folard, Feuquière , Puységur ولكنها كانت مختلفة في وجهات النظر . مع Feuquière كان هناك تطلع إلى الإستراتيجية ، ومع Folard على التكتيك ،أما مع Puységur فكان اللوجستيك Logistique[36]. وكلمة اللوجستيك هنا تأتي بمعنى"علم رئاسة أركان الجيوش".

---

33 ـ كتب عنه الكاتب الفرنسي Jean Thiriet في بحثه " إعادة اكتشاف رجل للحرب والحرف: Montecucculi" ،صادر في مجلة "إستراتيجي" الصفحة 60،فرنسا، 1995.

34 ـ انظر : Hervé BEGARIE،المرجع السابق، الصفحة من 190-200.

35 ـ انظر : Jean Chagniot، " إستراتيجية عدم التأكد،فروسية Folard"، بالفرنسية، دار نشر Rocher، فرنسا 1997.

36 ـ انظر: Henri – Antoine JOMINI، " فن الحرب"، لم نجد لا تاريخ الشر ولا دار النشر.

في عام 1736 نشرت ولأول مرة مذكرات الجنرال Antoine de Pas ثم أعيد طبعها بعد ذلك خمس مرات. يحاول فيها هذا الجنرال التنظير لفن المناورة عبر التاريخ الذي سبقه أو في الأنظمة القديمة . وفي عام 1748 نشر كتاب المارشال Jacques-François de Chastent "فن الحرب من خلال المبادئ والقواعد . وصف كتابه بأنه عقلاني يعتمد تنظيم المعارك وخطواتها وكيفية تطبيقها.

الموجة الثانية من تطور الفكر الإستراتيجي في فرنسا ضمت العديد من الكتاب ومن أهمهم Roy de Bosroger والذي وضع كتاب "مبادئ فن الحرب" عام 1770، وكتاب "عناصر الحرب" عام 1773. ثم يأتي كتاب " دراسة نظرية حول الصراعات" وضعه كونت منطقة Grimorad في عام 1775، ومن بعده Paul –Gédéon والذي أدخل في المفردات العسكرية مفهوم الإستراتيجية . (Hervé BEGARIE،المرجع السابق، الصفحة 195). هذا الأخير تقوم نظريته على " من غير نظرية مؤسسة على قواعد ثابتة،لن نتقدم نهائيا في علوم الجيش والتسلح"[37]. وفي الجزء الثالث من كتابه يتحدث عن الإستراتيجية أو جدل عمليات الحرب. إنه يبين أن "علم الحوار أو الجدل يستند دائما على حسابات الزمن والمسافة".

3- الكتّاب الألمان :

في رأي الكثير من الكتاب الأوربيين ، يعتبر "فريدريك الثاني" أفضل محلل لنظامه . حيث وضع مؤلفاً شهيراً بالفرنسية هو " الوصية العسكرية" في عام 1768، وكان من قبل قد كتب دراستين أيضا وهما : " المبادئ العامة للحرب" في عام 1746، و "تعليمات من أجل ضباطي" في عام 1747، أما في عام 1771 فقد وضع كتابه "عناصر التكتيك". الكاتب الألماني الأكثر شهرة في حقل الفكر الإستراتيجي هو Wilhelm Schaumbourg-Lippe[38] ترك ألمانيا ووضع نفسه في خدمة ملك البرتغال الذي عينه مارشالاً . كتب بالفرنسية العديد من المذكرات . ومن وجهة نظر إستراتيجية يمكن الحديث عن تنظيره لعمليات الدفاع ثم إعطاءه دوراً كبيرا لعلم النفس في الحروب .

4- الإنتاج البريطاني.

ترك Henry Lloyd كتابا غنياً وغزيراً بالمعرفة تحت عنوان " A Political and Military Rhapsody on the Invasion and Defence of Great Britain and Ireland" وذلك في عام 1790، وقد تمت طباعته سبع مرات بمختلف اللغات الأوربية . ومن كتبه الأخرى " The History of the late War between the King og Prussia and the Empress of Germany and her Allies" صدر في عام 1763.
ويمكن أن نذكر أيضاً من بريطانياً ، Humphrey Bland في كتابه "A Treatise of Military Discipline" وقد طبع تسع مرات ابتداء من عام 1727 وحتى عام 1762. وقد تحدث العديد من الكتّاب البريطانيين عن "الإستراتيجية الكبرى" في مختلف إنتاجهم المعرفي في هذا المجال. [39]

القسم الخامس : الفكر الإستراتيجي المعاصر

ما بين عامي 1789 و 1815، عرفت أوربا حروباً مستمرة تخللها بعض الاستراحات هنا وهناك . في هذه الفترة أصاب فن الحرب تحولات عميقة . بدأ التحول مع Lazare Carnot الذي أخذ بوضع إستراتيجية جديدة

[37] - انظر : Joly de Mazeroy،" نظرية الحرب"، صدر في نانسي،فرنسا، دار نشر Leclerc،1777، الصفحة 18.
[38] - كان غائبا تماما من تاريخ الفكر الإستراتيجي ،ثم تم التذكير به من قبل البروفسور Curd Ochwadt الذي أعاد نشر كتابته.
[39] - انظر : D. GRUBER،"British Strategy : the theory and practice of eighteenth century warfare"، لندن، دار نشر Greenwood Press، 1978.

لم يوضحها إلا بملاحظات و كتابة مختصرة جداً . أما مؤلفه الأكبر فقد عالج موضوعاً أكثر تحديداً: "الدفاع عن المراكز القوية" وكتبه في عام 1809، ترجم إلى العديد من اللغات الأوربية.

في هذه الفترة عرف الإنتاج الفرنسي قوة اكبر مع كتاب : "مدخل إلى دراسة فن الحرب" وضعه Roche-Aymon بين عامي 1802-1804 وتحدث فيه عن التكتيك فقط ؛ ثم كتاب "المعالجة الأساسية للفن العسكري" كتبه Simon-François Gay في عام 1805 وترجم لمختلف اللغات العالمية . بعد ذلك جاء كتاب Reveroni de Saint-Cyr وهو كتاب غني جاء تحت عنوان"دراسات حول آلية الحرب"كتبه في عام 1808 وقد نشر فيما بعد بعنوان جديد هو "سكونية الحرب أو مبادئ الإستراتيجية والتكتيك" وذلك في عام 1826.

المقاربة الهندسية للفكر الإستراتيجي وصلت إلى ذروتها مع الكاتب Prussien Dietrich الذي نشر في مدينة هامبورغ الألمانية كتابه " Geist des neuern Kriegs Systms" (روح نظام الحرب الحديثة) في عام 1799، ويتحدث فيه عن طرح مسلمات أو بديهيات معينة يمكن الحصول عليها بالمنطق و الاستدلال ثم توضيحها فيما بعد بواسطة التجربة . وفي كتابه الثاني يتحدث الأسبقية الفكرية عند نابليون بونابرت وجاء الكتاب تحت عنوان" Lehrsätze des neuen Krieges oder reine und angewandte Strategie" (نظريات الحرب الحديثة أو الإستراتيجية الخالصة والمطبقة) ووضع الكتاب في عام 1805.

أيضاً في ألمانيا ، كتب الأرشيدوق Charles العديد من المؤلفات : " Grundsätze der grosse Kriege" (مبادئ الحرب الكبيرة) في عام 1808، " Grundsätze der Strategie erläutert durch die darstellung des Feldzugs von 1796 in deutschland" (مبادئ الإستراتيجية المطورة من خلال حملة 1796 في ألمانيا) في عام 1813.

1- الآباء المؤسسون للفكر الإستراتيجي المعاصر :

أولا - Jomini

وهو Henri-Antoine Jomini الذي عمل على الموافقة بين إرث كتاب القرن الثامن عشر وتعليمات مأخوذة من نموذج نابليون . اذ يمكن القول ان ، معه بدأ علم الإستراتيجية المعاصر[40]. ولد في سويسرا عام 1779 خدم في الجيش الفرنسي وأصبح رئيس أركان المارشال Ney في عام 1805. وفي هذا العام نشر كتابه الأول "معالجة التكتيك الكبير أو علاقة حرب السنوات السبعة"،وهو في الواقع تطوير لعمل سابق كان قد كتبه الجنرال Tempelhof من بروسيا في عام 1783، والذي كان بدوره تطويراً لعمل سابق هو للجنرال Lloyd وكان يحمل العنوان "تاريخ حرب السنوات السبعة".

الفرق بين هذه المؤلفات هو أن Jomini أدخل تعديلات مبنية على مقارنات مع العمليات التي حضرها او شارك فيها. في السنوات التالية نشر العديد من المؤلفات التي تحلل الحروب النمساوية ثم حروب "ثورة الإمبراطورية"، وفي النهاية وصل مؤلفه إلى ثمانية أجزاء كان آخرها في عام 1816، وقد عاد ليعيش في فرنسا ، ثم توفي في عام 1869 عن عمر 90 عاما. (من كتاب تاريخ الإستراتيجية، Hervé Bégarie الصفحة 200 إلى 210).

في الشكل النهائي لمؤلفه يمكننا ملاحظة جزئين رئيسيين : " تحليل العمليات العسكرية الكبرى" وقد كرّسه لحروب فريدريك الثاني؛ ثم " التاريخ النقدي والعسكري لحروب الثورة" ويتألف من 15 مجلداً. ربما يكون هذا المؤلف الكبير منسياً إلا أنه من أهم الآباء المؤسسين للفكر الإستراتيجي المعاصر[41] . لقد كان له تأثير كبير على جميع منظري الفكر الإستراتيجي من روسيا إلى الولايات المتحدة ومروراً بالقارة الأوربية ، وقلما تجد لغة لم يظهر فيها كتاب عنه أو ترجمة لأعماله . وبشكل خاص كان له تأثير واضح على الكتاب الأوائل للفكر الإستراتيجي الأمريكي الممثل بكل من William Duane و John Armstrong ، ثم Dennis Hart Mahan أستاذ التكتيك في West Point ، و Alfred Thayer Mahan (ابن Dennis)، و المعروف بتحليله للقوة البحرية والذي تحولت تعليماته و

[40] - انظر: Bruno COLSON، " حروب الثورة 1792 1797"،بالفرنسية ، باريس، دار نشر hachette و Pluriel 1998.

[41] - ظهرت العديد من المؤلفات عنه أهمها : " عظمة و تراجع Jomini"، لمؤلفه Emile MAYER،بالفرنسية؛ وكتاب John I ALGER " Jomini : A Bibliographical Survery" ، صادر عن US Military Academy، 1975.

أفكاره إلى إستراتيجية بحرية . ولم يعرف تاريخ الثقافة الإستراتيجية الأميركية تأثراً بكاتب آخر كما عرف تأثره بالكاتب Jomini[42] .

ثانيا - Clausewitz

يعتبر اليوم الأشهر من بين جميع المفكرين العسكريين . وضع كتاباً شهيراً تحت عنوان Vom Kriege وهو يقابل كتاب "الأمير" عند ميكيافلي ، وأصبح مرجعاً لمعظم المفكرين الإستراتيجيين ، وقلما نجد كتاباً إستراتيجيا لم يأخذ منه . ولد Clausewitz في عام 1780[43]. لديه خبرة عسكرية طويلة وتجارب من خلال مشاركته في الحروب . أول كتابة إستراتيجية له كانت بعنوان " نقد عميق لنظام الحرب عند von Bülow". في عام 1806 بدأ بالإعداد لأكبر مؤلف له ثم باشر كتابته بعد عام 1815 ، عندما وصلت حياته العسكرية إلى طريق مسدود.

كتب العديد من المؤلفات التاريخية حول الحملات العسكرية لكل من Turenne, Frédéric II و ثورة الإمبراطورية . ومن خلال القاعدة التاريخية التي يمتلكها استطاع وضع كتابه opus magnum ويضم ثلاثة كتب هي : تحليل للحرب الكبرى أو الإستراتيجية ، تحليل للحرب الصغرى ، وأخيراً تحليل للتكتيك. بسبب موته المفاجئ ، لم يستطع Clausewitz إكمال هذا المشروع الضخم حول الفكر الإستراتيجي . فمن كتاب "تحليل التكتيك"، لم يبق إلا بعض الصفحات التي لم تشد انتباه أحد . اما كتاب "الحرب الصغرى" فقد بكامله ، ولم يبقى منه سوى المحاضرات التي ألقيت عنه في Kriegsakademie في عام 1810. وأخيراً كتاب "تحليل الحرب الكبرى" فقد استطاع إكماله ، ولكنه يشير في أعلى المخطوطة وبوضوح : إلا أن الفصل الأول من الكتاب هو وحده كامل أو منجز من الناحية الفكرية .

---

[42] - انظر : Bruno COLSON، " الثقافة الاستراتيجة الأمريكية، تأثير Jomini" ، بالفرنسية ، صادر في باريس، دار نشر Economica، المكتبة الإستراتيجية.

[43] - أفضل تأريخ له كتبه Peter Paret، " Clausewitz and the State"، Princeton University Press،1976.

ووفق ملاحظة تمت كتابتها في 10 تموز عام 1827، Clausewitz حقق مرحلة جديدة في تفكيره الاستراتيجي ، حيث تركز على الحرب كاستمرار للسياسة ولكن بوسائل أخرى وعلى قاعدة التمييز بين الشكلين أو وجهي الحرب . وأخيراً نقول بان القراءات الدوغمائية للفكر الإستراتيجي عند Clausewitz أدت إلى تعليقات و تحليلات مختلفة ومتغايرة ومن ثم إلى نتائج مختلفة زادت من تعقيد نظريته . و نضيف أخيراً أن كتابه السابع كان حول "الهجوم"، وكتابه الثامن حول "مخطط الحرب"، وهما غير مكتملين.

ثالثا - New- clausewitziens

إن Clausewitz لم ينشر شيئا من دراساته وهو على قيد الحياة ، لأنه كان يعتقد بأنها لم تصل بعد إلى مرحلة الإتمام والكمال . وبعد وفاته عمدت زوجته إلى نشر مخطوطاته في عشر أجزاء ما بين عامي 1832 و 1837. ردة الفعل حول فكره الإستراتيجي كانت متغايرة كما أشرنا سابقاً ، وهذا لم يساعد في نفاذ 1500 نسخة من كتاباته كانت قد طبعت خلال 15 عاماً . في فرنسا مثلا لم يكن معروفاً بشكل جيد إلا بين قلة من الأفراد . وفي عام 1880 نشر بحث عنه في دورية فرنسية شهيرة le Spectateur militaire من قبل ضابط من أصول بولونية وهو Louis de Bystrzonowski .

عام 1870 انتشرت سمعة Clausewitz كمفكر إستراتيجي ، ويعود هذا لأسباب قومية أكثر منها أسباب فكرية . فالإمبراطورية البروسية المنتصرة في Sadowa عام 1866 وفي Sedan عام 1870، كانت تبحث عن شرعية نظرية لتفوقها الميداني ودراسات Jomini التي تحدثنا عنها سابقاً لم تكف هذه الإمبراطورية أو ترضيها ، خاصة لأنه سويسري وكان في نفس الوقت منظراً للاستخبارات و المعلومات عند نابليون، ونضيف أنه كان ينتقد فريدريك الثاني من وقت لآخر . Clausewitz كان بروسياً حقيقياً ورأى فيه فريدريك الثاني نموذجاً له ، كما كان مرضياً للقراء الألمان .

بعد الانتصارات الألمانية ، حاولت الكثير من البلدان تقليد النموذج الألماني والمعلم الجديد للنظرية الإستراتيجية . من هنا تمت ترجمة Clausewitz للكثير من اللغات . وفي ألمانيا نفسها أصبح Clausewitz مرجعاً قانونياً لهذا الفكر، أما كتابه Vom Kriege فقد قام أكبر القادة آنذاك Schlieffen بكتابة مقدمة له ، وذلك في عام 1905. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن تركيزClausewitz على السياسة كحل ومن ثم ثانياً على الدفاع تم رفضه من قبل الكثيرين أو تم تجاهله. فالمعجبين بكتاباته بحثوا فيها عن الحجج التي تدعم أفكارهم في الهجوم أثناء المعارك الفاصلة.

في فرنسا التي كانت ضحية لألمانيا وخصماً مصنفاً في أي حرب جديدة ، أظهرت الكثير من المصلحة في قراءة Clausewitz وخاصة بعد هزيمة عامي 1871/1870. ومنذ عام 1880 إلى 1905، ظهرت فيها موجة عارمة من أنصار مدرسة Clausewitz . وكانت البداية مع قائد الجيوش Cardot في"المدرسة الحربية العليا" حيث حاضر عنClausewitz منذ عام 1884، وبعد ذلك من خلال دراسة للكابتن Georges Gilbert في عام 1887. وقامت المدرسة الحربية فيما بعد بترجمة معظم الحملات العسكرية التي كتبها Clausewitz. أما الكتاب الألمان والفرنسيون فقد اختلفوا حول شرح حروب نابليون من قبل Clausewitz، فالفرنسيون يقولون أن الإستراتيجي الألماني لم يحلل نابليون بشكل كاف أو صحيح ، والألمان يباركون هذا الشرح والتحليل .

بالنسبة للعالم الأنكلو ـ سكسوني كان أكثر تحفظاً وتكتما تجاه كتابات Clausewitz[44].ففي عام 1834 ترجمت وفي مرجع إنكليزي وآخر أمريكي بعض الصفحات التي لم تتجاوز العشرين والتي أخذت من كتاب Vom Kriege. أما الأعمال الكاملة ترجمت مع العقيد Graham في عام 1873 وتخللت الترجمة الكثير من الأخطاء والتي صححت على يد F.N Maude في عام 1908. لكن هذه

[44] - انظر : Christopher BASSFORD، "Clausewitz in English : The Reception of Clausewitz in in Britain and America 1815-1945، نيويورك، مطابع جامعة أكسفورد، 1994.

الأعمال أصابها فشل كبير في العالم الأنكلو ـ سكسوني، حيث لم يطبع منها سوى 69 نسخة خلال 12 عاماً.

ان الشكل الفلسفي لأعمال Clausewitz اصطدم بالبراغماتية البريطانية. اما الإستراتيجي Corbett الذي أيد المقاربة التي وضعها Clausewitz حول الإستراتيجية البحرية ، فقد بقي حالة استثنائية . أما Fuller و Liddell Hart ، وبعد قراءة Clausewitz لم يجدا العناصر التي تتوافق مع نظريتهما[45]. في الولايات المتحدة كان هناك ازدراء عام لكتابات الإستراتيجي Jomini وبقي هذا الوضع قائما حتى النصف الثاني من القرن العشرين . وقد كتب "ريمون آرون" في عام 1976 عن هذا الوضع قائلا:" من بين الأسماء الكبيرة التي تعمل في الحقل الإستراتيجي في الولايات المتحدة ، فقط Bernard Brodie هو الذي قرأ Clausewitz بشكل عميق"[46].

في إيطاليا، لم يقرأ Clausewitz إلا بشكل قليل في القرن التاسع عشر. واكتشافه بشكل حقيق كان على يد الكاتب الإستراتيجي Emilio Canevari، عندما كتب عنه مؤلفه " Clausewitz e la guerra odierna" (Clausewitz و الحرب اليوم)[47] . وفي إسبانيا ، كان العقيد Banus Comas في كتابه "Estrategia" الصادر في عام 1887 واحداً من النادرين الذين قرؤوا Clausewitz. وحتى عام 1908 ل ظهر أول ترجمة لأعماله في الإسبانية .أما الترجمة الكاملة فلم تظهر ألا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ولم يصبح Clausewitz معروفاً في هذا البلد بشكل جيد حتى عام 1970. وبعد هذا العام انتشرت ترجمته إلى معظم اللغات الأوربية ، وحتى

45 - Jay Luvaas، "Clausewitz, Fuller and Liddell Hart "، من كتاب Michael Handel، "Clausewitz and Modern Strategy " ، من الصفحة 197 حتى 212.

46 - Raymond ARON، " التفكير بالحرب"، بالفرنسية، الصفحة 347.

47 - أيضا ظهرت الترجمة الإيطالية للإستراتيجي البروسي على يد الجنرال Bollati، ثم كتاب Ferruccio Botti " Clausewitz في أيطاليا"، من مجلة Stratégique الأعداد ، 78-79، 3/2-2000.

الصينية ،العبرية،الاندونيسية،والعربية بشكل بسيط أو جزئي. أما الروس فقد أولوا اهتماماً خاصاً لكتاباته وكان له تأثير كبير على المكتبة الإستراتيجية الروسية[48] .

القسم السادس : الإستراتيجية في القرن التاسع عشر

أولا ـ المدرسة الألمانية

يشير Jomini في كتاباته و ينقل عن العديد من الكتاب مثل Bavarois Xylander, Wurtembergeois Theobald, Müller, Valentini, Decker, Hoyer وهؤلاء كلهم من الجنرالات ، ونسي أن يضيف عليهم الماجور جنرال Hôheren Kriegskunst. وفي نفس الوقت يرى الكثير من مؤرخي الإستراتيجية أنه أيضاً نسي أن يذكر أكبر استراتيجيين سبقا Clausewitz وهما الجنرالان Von Lossau و Rühle von Lilienstern[49]. ولكن لا بد من القول هنا أن Clausewitz هو الذي أنقذ المدرسة الألمانية من جمودها .

ثانيا ـ المدرسة الإيطالية

عرفت إيطاليا إنتاجاً إستراتيجياً غزيراً في هذا القرن . تركز هذا الإنتاج بشكل كبير عند Joseph Pougni-Guillet وخاصة في عمله " عناصر للإستراتيجية والتكتيك" كتبه في عام 1832، و Paul Racchia في مؤلفه " تحليل دقيق لفن الحرب" كتبه في عام 1832. ثم جاء Enrico Giustiniani في "دراسة حول تكتيك الأسلحة الثلاثة بشكل منعزل ومجتمع" في عام 1848. أما الكاتب الإستراتيجي الأكثر شهرة في إيطاليا النصف الأول من القرن التاسع عشر كان Luigi Blanch ، ويعتقد أنه كان فيلسوفاً للحرب أكثر مما هو إستراتيجي . إلى جانب هؤلاء ظهر تصنيف آخر للإستراتيجيين الإيطاليين ، الأول سمي Scolastiques أو المقرّب من الأوساط الرسمية ، والثاني Laïc وهم مجموعة من المفكرين المستقلين كان صوت النقد "نقد الحرب" لديهم مرتفعاً بشكل أكبر.

ثالثا ـ المدرسة الروسية

تابعت المدرسة الروسية تقلباتها بين طريق وطني حصراً ، وطريق فيه بصمات أجنبية[50]. الجنرال Nicolas Medem في كتابه " Obozrenie isvestnjchich pravil i sistem strategii" (دراسة حول القواعد والأنظمة المعروفة للإستراتيجية) صادر في عام 1836، يحلل كتابات كل من Lloyd, Bülow, Jomini, Clausewitz ؛ ثم في كتابه Taktika في عام 1837، يعلن العودة إلى Souvorov الذي سينتشر في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر . أما العقيد M. I Bogdanovich فقد كرّس كتابه Zapiski strategii (دراسة الإستراتيجية) 1847،من أجل دراسة نابليون.

ثم يأتي الجنرال Astafev ليحلل "فن الحرب الحديثة"، في كتاب تم وصفه بأنه من التيار الإصلاحي الذي ظهر بعد الهزيمة ، وقد صدر الكتاب تحت إشراف Dimitri Milioutine ، وهو مؤرخ عسكري معروف في روسيا ووزيراً للحرب في عام 1861 وحتى 1881. وأيضانقرأ مع الجنرال Okounieff كتابه "مذكرات حول مبادئ الإستراتيجية" 1831،وتعليقاته الإستراتيجية حول حملة عام 1812، هذه التعليقات التي ترجمت إلى الفرنسية في عام 1841، وإلى الألمانية في عام 1876 .

رابعا ـ المدرسة الفرنسية

---

48 ـ انظر : Olaf ROSE ، "Carl von Clausewitz, Wirkungsgeschichte seines Werkes in Russland und der Sowjetunion 1836-1995"، ميونخ، دار نشر Oldenbourg Verlag، 1995، (Clausewitz تأثيره في روسيا والاتحاد السوفييتي).

49 ـ لمعرفة أهم أعلام المدرسة الإستراتيجية الألمانية يمكن العودة إلى بحث Herbert ROSINSKI : "the Rise and Decline of Germn Military Thought"، في مجلة Naval War College Review، صادر في صيف 1976،الصفحة 83.

50 ـ انظر : Carl Van DYKE، "Russian Imperial Military Doctrine and Education"، صادر عن Westport Greenwood Press، 1990 و Walter Pinter، "Russian Military thought :the Western Model and the Shadow of Suvorof"، بحث في مجلة Makers of Modern Strategy.

يلاحظ أن الإنتاج الاستراتيجي الفرنسي كان تحت هيمنة كتاب ألفه المارشال Marmont تحت عنوان "روح المؤسسات العسكرية" وظهر في عام 1845 ثم أعيد نشره في عام 1865. ذهب اليوم ضحية للنسيان، ولكن عمله يتركز في الواقع حول النظرية العامة للفن العسكري ، تنظيم الجيوش،العمليات المختلفة للحرب،وأخيراً فلسفة الحرب[51]. عملياً، السنوات الممتدة من 1815 على 1870، عرفت استقراراً سياسياً في فرنسا[52]. فالنقاش حول الجيش لم يكن على مستوى عميق أو واسع .مع بدايات القرن العشرين ستعرف فرنسا إنتاجاً آخرا للعلوم الإستراتيجية ، سوف نتطرق إليه في الفقرات القادمة .

القسم السابع : القرن التاسع عشر و مأسسة العلم العسكري

بدأت التغيرات تظهر على التفكير الإستراتيجي وفي كل أبعاده بعد عام 1870. بعد أن كان هذا التفكير مقتصراً على أقلية من الضباط والجنرالات "باستثناء ألمانيا"،أصبح عنصرا أساسيا من عناصر تكوين الضباط الكبار في الجيش. لهذا السبب انتشرت المدارس العسكرية في معظم الدول والتي شجعت على ما يسمى التفكير الاستراتيجي. أيضا بعد عام 1870 ازداد عدد المطبوعات و الكتب الإستراتيجية في معظم أنحاء أوربا بالإضافة للمخطوطات و المراجع الكبيرة[53]. ولكن علينا القول هنا،أن معظم المطبوعات أعطت مساحات كبير للحديث عن الجغرافية العسكرية والتكتيك،لكن التقدم نحو العلوم الإستراتيجية كان بطيئاً .

ـ إعادة اكتشاف الإستراتيجية

بعد تراكم الدراسات حول التكتيك ، بدأت وفي عام 1880 تظهر دراسات أخرى تعطي الفكر الإستراتيجي أبعاداً أخرى أعمق و اشمل . ففي ألمانيا أخذ الفكر الإستراتيجي هذه الأبعاد الجديدة مع المارشال Colmar von der Goltz وهو من أشهر الكتاب في تلك المرحلة لاسيما في كتابه " Das Volk in Waffen" (الشعب في الجيش) والذي صدر عام 1883 ، ثم ترجم إلى الفرنسية عام 1884، الإنكليزية 1887، الإسبانية ، التركية ، السويدية 1887. أيضاً كتاب العقيد Wilhelm von Blume " Die Strategie" 1882، وترجم إلى الفرنسية في عام 1884، السويدية عام 1887، الروسية عام 1899 .

لكن الحوار حول الإستراتيجية بعد ذلك أخذ طابع الجدل وأحياناً الصراع الفكري مع كتاب " تصارع الإستراتيجيات" الذي وضعه المؤرخ Hans Delbrück والذي يفسر فيه الحروب التي قام بها فريدريك الثاني . ومع بداية عام 1910 بدأت مع الجنرال Friedrich von Bernhardi الأفكار الإستراتيجية في كتابه " Vom heutigen Kriege" (الحروب الحالية) والصادر في عام 1912، ترجم إلى الروسية عام 1912، الإنكليزية عام 1912، الفرنسية عام 1913، اليابانية 1914. عملياً، الكتابات الإستراتيجية انتشرت في معظم القارة الأوربية و الولايات المتحدة : في بريطانيا مع W.H. james وكتابه " Modern Strategy" صادر عام 1904؛ H. Tovey وكتابه " Elements of Strategy"؛ ثم F.N Maude وكتابه " The Evolution of Moderne Strategy from the XVIII Century" صادر في عام 1905. وفي الولايات المتحدة مع John Bigelow في كتابه" Principles of Strategy" الصادر في عام 1891؛ ثم Arthur Wagner في كتابه " Strategy" الصدر عام 1903.

القسم الثامن : إستراتيجية في القرن العشرين

---

[51] ـ كتب عن هذا المارشال، الكاتب Bruno Colson في كتابه الصادر بالفرنسية " Maréchal Marmont, De l'esprit des institutions militaires"، باريس، دار نشر Economica، المكتبة الإستراتيجية 2001.

[52] ـ هناك كتابات أخرى بالفرنسية : أهمها Sainte-Hélène و خاصة ما تمت كتابته منها بإيعاز من نابليون الثالث نفسه مثل " ملاحظات لنابليون الأول" وهو من ستة أجزاء، صدر في باريس عام 1867.

[53] ـ في فرنسا مثلا،كان هناك " صحيفة العلوم العسكرية، و " القارئ العسكري"،ثم أضيف " المرجع العسكري للجيوش الأجنبية"في عام 1871، بعد ذلك ظهر "مرجع تاريخ قيادة الأركان للجيوش" في عام 1899، وأيضا "المرجع العسكري العام" في عام 1907.

بدأ في عام 1914 نقاش حاد حول التغيرات الجذرية للفن العسكري، مع هيمنة مسبقة للجانب العملي على النظري . والعديد من الملفات عن هذه الفترة تشهد بالأفكار التي فرضتها الأحداث[54] ، خاصة أن معظم العسكريين لم يكن لديهم الوقت للكتابة ، فإما كانوا على الجبهات أو في قيادة الأركان الخاصة بالعمليات العسكرية . وهذا عملياً ما يفسر الغياب شبه الكلي للمنشورات والمطبوعات العسكرية في تلك الفترة . ومع بدء الحرب العالمية الأولى كانت العلوم الإستراتيجية قد أصبحت طيّ النسيان، ولكن هل يعني أنها اختفت تماما ؟

في الواقع ، ان الكثير من المفكرين والكتاب تحدثوا عن العلوم الإستراتيجية ولكن ليس في كتب أو مراجع، بل في مقالات صحفية ظهرت هنا وهناك ، وفي بعض الكتب غير العسكرية أو غير المتخصصة . من بين هؤلاء كان البريطاني Charles الذي كتب في صحيفة Times وقد قدم فكراً إستراتيجياً حقيقياً في بريطانيا والولايات المتحدة. أيضاً Spenser Wilkinson الذي ترك العمل الصحفي في عام 1909 ليصبح أستاذ "التاريخ العسكري" في جامعة أكسفورد، وقد كتب أثناء الحرب "First lessons in War 1914"، ثم " Gouvernment and the War 1918".

في ألمانيا ، قام Lucia Frost بإدخال بعض التعليقات حول أعمال Clausewitz في مرجع يهتم بالأدب بشكل عام . وفي فرنسا ، يمكننا متابعة دراسات عسكرية منتظمة في المرجع " La Revue des deux-mondes ، La Revue de Pari ، La Revue universelle… . في سويسرا، كتب العقيد Ferdinand Feyler مجموعة من التعليقات حول الحرب العالمية الأولى منها (مدخل إستراتيجي عام 1915؛ و مشاكل إستراتيجية مستفادة من الحرب الأوربية عام 1918). ولا بد من الإشارة هنا إلى "المرجع العسكري السويسري" الذي بقي له تأثير مهم، كما هي مجموعة "المراجع العسكرية الأمريكية".

مع انتهاء عام 1918، كانت المفاهيم الإستراتيجية النظرية قد أعيد بناؤها . فكل القناعات و التأكيدات السابقة تعرضت للانهيار مع نهاية الحرب الأولى . بدءاً من هذا التاريخ أخذ الكتاب بالمذهب العسكري الجديد حول الجبهة المستمرة وتفوق العمل الدفاعي ، والمجددين الذي يريدون استثمار الإمكانيات الجديدة المفتوحة بواسطة الأسلحة الجديدة التي استخدمت أثناء الحرب ، وأهمها الدبابة والطائرة[55].

ـ الفكر الإستراتيجي في الثلاثينات: بين التجديد و الجمود

في الثلاثينات من القرن الماضي بدا وكأن هناك نزعة للتشدد فيما يتعلق بهذا الفكر . ففي إيطاليا كتب الجنرال Visconti-Prasca كتاباً أخذ شهرة كبيرة تحت عنوان " La Guerra decisiva" (الحرب الحاسمة) في عام 1934، ترجم للألمانية والفرنسية في عام 1935. يدعو الجنرال في هذا الكتاب إلى العودة لعقيدة الهجوم. وفي فرنسا أيضاً لم يتوقف التيار المتشدد في الفكر الإستراتيجي عن الظهور كما يتبين ذلك مع كتاب الجنرال Chauvineau بعنوان "هل الاقتحام مازال ممكناً؟" وقد صدر في عام 1939، وهو مثال جيد على عودة المحافظين إلى داخل هذا الفكر.

أيضاً في ألمانيا ، فقد أخذ هذا الاتجاه توسعاً كبيراً مع العديد من منظريه وأهمهم : Wilhelm Reinhardt, Alfred Krauss, Waldemar von Erfurth, Herman Foertsch . وفيما يتعلق بعقيدة الهجوم ، فقد أحدث الألمان تطوراً كبيراً بعد تصنيعهم وامتلاكهم بشكل كبير لكل من الطائرة و الدبابة . ونذكر هنا أن الإستراتيجيين الألمان تأثروا كثيرا بالمنظرين الإستراتيجيين البريطانيين مثل Azar Gat [56] . أما في روسيا فقد حاول السوفييت تطوير نظرية أصيلة وخاصة بهم. والكاتب الأكثر شهرة في هذا المجال كان الجنرال Alexandre Svechin في كتابه " Strategija" الصادر عام 1926. ويصنف اليوم كمؤلَّف كلاسيكي. ساهم كتابه بتأسيس ما يسمى بالمذهب"الواقعي"، وقد دعم الماركسي الشهير "تروتسكي" هذا المذهب قائلا :" لا يمكننا بناء قاعدة للحرب مع الماركسية".

---

54 ـ من هذه الملفات والكتابات، كتاب الفرنسي Lucas والذي كان تحت عنوان "تطور أفكار التكتيك في فرنسا و ألمانيا خلال الحرب ما بين 1914-1918"، صدر في باريس،دار نشر Berger-Levrault، 1924.

55 ـ ظهرت العديد من الدرسات حول هذا الموضوع وبلغات أوربية مختلفة . نذكر منها : Barry R. Posen، "The Sources of Military Doctrine, France, Britain and Germany between the World Wars"، Ithaca، Cornell University Press، 1984. أيضا ، Brian Holden Reid، "Military Thinker"، لندن، دار نشر Macmillan، 1987. و بالفرنسية نقرا مع الجنرال Camon، "La Motorisation de l'Armée et la manœuvre stratégique"، صادر في باريس،دار نشر Berger-Levrault،1926.

56 - Azar GAT، " British Influence and the Evolution of the Panzer Arm : Myth or Reality ? "، صادر في جزأين.

عملياً اصطدم هذا المذهب ومعه تروتسكي بكتابات Mihail Frounze المدعوم من قبل المارشال Toukhatchevski الذي يدعو إلى "مذهب عسكري واحد لا يتغير"، والذي يجب أن يكون " التعبير عن الإرادة الواحدة للطبقة الاجتماعية في السلطة". هاجم Toukhatchevski خصومه من الجانب الإيديولوجي مما أدى فيما بعد لتصفيته ومعه أيضاً Svechin . **في عام 1939، وصل الفكر الإستراتيجي إلى حالة مختلفة تماماً عما كان عليه في عام 1914 ، حيث لم يعد هناك إجماع عقيدي،بل على العكس أصيب بفجوة كبيرة وقعت بين المحافظين و المحدثين .**

- الفكر الإستراتيجي خلال الحرب العالمية الثانية

ان الحرب التي اندلعت في ايلول 1939 أحدثت انقلابات جذرية في المذاهب الإستراتيجية التي كانت سائدة بين الحربين . فالخطط الإستراتيجية لم تعد على مستوى حرب صغيرة أو كبيرة بل أصبحت على مستوى العالم ككل ، ومن أهم أسباب هذا التغير هو التطور الحاصل في جميع أصناف الأسلحة المستخدمة . فأصبحت الأسلحة تفرض قوانينها ، أما الإستراتيجيات فتجرب جميعها في ميادين المعارك . مع ذلك ، اصبح التفكير والتنظير الإستراتيجي لم يختف بين البلدان الأوربية ، حيث استمرت العديد من المراجع والمطبوعات الإستراتيجية النظرية بالظهور خلال الحرب .

إن الحدث الأهم الذي عرفته الحرب الثانية هو الصعود القوي للولايات المتحدة الأمريكية . وهذا ما ترافق أيضاً مع ميدان التفكير الإستراتيجي النظري . ومن المعروف أن هذا البلد لم يكن بعد قد أنتج تلك المراجع الكبرى في العلوم الإستراتيجية ، ولكن إذا استثنينا Mahan . خروج الولايات المتحدة منتصرة في الحرب الثانية جعلها تهتم كثيرا بالميدان النظري للعلوم الإستراتيجية ولاقى هذا الاهتمام اتساعاً كبيراً على المستوى العالمي . فقد بدأت الجامعات الأمريكية بوضع البرامج البحثية التي تقرأ وتحلل الفكر الإستراتيجي الأوربي: مثلاً Edward Mead Earle أطلق دراساته حول كبار الإستراتيجيين الأوربيين في كتاب له تحت عنوان " Makers of Strategy" صدر في عام 1943، وترجم للفرنسية في عام 1982، وقد استمر هذا المرجع نصف قرن من الزمان كأحد أهم المراجع في هذا المضمار .

أيضاً Stephen Possony أدار برنامجاً ضخماً للترجمة لجميع الإستراتيجيات الكلاسيكية . والعديد من المحللين درسوا تحولات وتغيرات الحروب البرية و البحرية . **ومن هنا بدأت تظهر ملامح تيار جديد في العلوم الإستراتيجية،هذا التيار سيؤسس لما سنسميه فيما بعد بالجيوإستراتيجية.** ويمكن القول هنا،إن القوة العالمية للولايات المتحدة ليست فقط وليدة ظروف معينة ، بل هي أيضاً ناتجة عن برنامج ناضج من التفكير والبحث قبل أن يوضع في التنفيذ . حيث بالنسبة لهم النظرية توجه وتغني التطبيق العملي.



الفصل الرابع

الإستراتيجية كمنهج وطريقة

1- بين النموذج السياسي و النموذج العسكري

عبر التاريخ الطويل للفكر الإستراتيجي إنكشف التغيير أو الاضطراب بين ما يمكن ان نسميه بالنموذج السياسي و النموذج العسكري . الأول يربط الإستراتيجية ببعد سام ومتفوق هو البعد السياسي ، و بالقيادة العامة للحرب ، بينما الثاني يتمركز ضمن إطار صارم من تنظيم الجهاز العسكري وقيادة العمليات و المعارك . هذه الثنائية تم التنظير لها في القرن العشرين مع التمييز بين الإستراتيجية الكبرى أو العامة ، والقيادة الدبلوماسية - الإستراتيجية و الإستراتيجية العملياتية . ولكن في الواقع هذا التمييز وجد منذ القرن الثامن عشر، أي منذ ظهور الفكر الإستراتيجي .

أيضاً ، هذه الثنائية موجودة في العلوم الإستراتيجية المعاصرة . كان Jomini قبل كل شيء مفكراً عسكرياً كما تشهد بذلك عناوين أولى مؤلفاته : " تحليل العمليات الكبرى" ، " التاريخ العسكري لحروب الثورة". بينما نجد Clausewitz يربط بشكل واضح بين الحرب ونهاياتها السياسية . في الواقع ، إرث Jomini هيمن على الفكر الإستراتيجي طيلة القرن التاسع عشر، أما أولوية الفصل بين السلطة السياسية و القيادة العسكرية ادّت إلى انتصار النموذج العسكري حتى عام 1914. والسبب أن القلق الوحيد كان في كيفية الانتصار في حقل المعركة من غير الأخذ بالحسبان لمصطلحات السلام التي ستهتم بها فيما بعد السلطة السياسية .

أن النموذج السياسي في الإستراتيجية عاد للظهور مع أواخر القرن التاسع عشر ، عندما بدأ الكتاب يفكرون بما يسمى الحرب الصناعية والإيديولوجية . أيضاً البعد السياسي ظهر عند الكاتب von der Goltz في كتابه " الأمة المسلحة". ما بين الحربين العالميتين كان هناك اقتسام للنزعتين السياسية والعسكرية، لكن النزعة العسكرية كانت أكثر هيمنة لاسيما مع الاختراعات العسكرية الجديدة (الطائرة،الدبابة،الغواصات). أما القطيعة الحقيقية بين النموذجين كانت بعد عام 1945، حيث ظهرت قوة النموذج السياسي، وكان هذا شيئاً طبيعياً بعد الوصول إلى اختراع القنبلة النووية حيث منعت التفكير بوسائل لها غايات عسكرية فقط . هذه الأولوية للسياسة بقيت حتى اليوم ، حتى ولو أن بعض الكتاب العسكريين حاولوا إبقاء فكر يستلهم التكتيك مبعدين منه البعد السياسي .

2- إيديولوجية و إستراتيجية

إن عودة النموذج السياسي بقوة على الساحة ، طرحت سؤالاً جديداً طالما تم تجاهله ، وهو العلاقات بين الإيديولوجية و الإستراتيجية . في البداية ، الإستراتيجية تم إدراكها كجزء أساسي من عملية تقنية او كجزء من إيديولوجية عامة للمجتمع ، فلم تأخذ قيمتها سوى بشكل بسيط جداً . ونكتفي بالإشارة هنا إلى أن أحد كبار الإستراتيجيين مثل Clausewitz تأثر كثيراً بالمفكرين الألمانيين هيغل و فيخته وكبار المؤلفات الفلسفية في عصره . ويعتقد بعض مؤرخي علم الإستراتيجية أنه كان استثناءاً من بين الكتاب الإستراتيجيين في ذلك الوقت .

اليوم مع تحيق الأبحاث والدراسات يمكننا فهم السياق الأيديولوجي التي ظهرت فيه النظريات الإستراتيجية، ثم تطورت وتراجعت[57]. اليوم أيضاً نحدد الاختلاف بين المعنى الذي يكون إستراتيجياً خالصاً للمذاهب التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر والتي تركزت على الهجوم ، والإيديولوجية الهجومية التي استولت على العقول والنفوس . إذاً الإستراتيجية توقف على أن تكون معرفة "روحية" لها سمو وتفوق ، لتدخل ضمن البيئة التي تعيش فيها وتصبح جزءاً منها . ربما يكون من الضروري معرفة التأثيرات التي مورست على هذا الكاتب أو ذاك ، ولكن هذه المعرفة لا تكفي للقول أن اي كاتب إستراتيجي معين استطاع بناء نظرية أو مذهب إستراتيجي فقط لأنه قرأ فيلسوفاً أو مجموعة من المؤلفات الفلسفية ، لأن التأثيرات الإيديولوجية والفلسفية ، لوحدها ، لا يمكنها أن تبني نظاماً أو نسقاً فكرياً.

بالإضافة لذلك ، حتى ولو اعترفنا بتعدد وكثرة التأثيرات الخارجية ، أيضاً لا يمكننا القول أنها بديل عن تفكير وتجربة الإستراتيجي أو الكاتب الإستراتيجي، كما أن النظريات الإستراتيجية أو المذاهب الإستراتيجية ليست انعكاساً بسيطاً لإيديولوجية عامة سائدة.

---

[57] - انظر كتاب " صوت الإستراتيجية"، صادر بالفرنسية ،تأليف Lucien Poirier.

القسم الثاني : المدارس والنظريات والمناهج الإستراتيجية

البند الاول : المدارس الاستراتيجية

بالإضافة للتعدد الذي لا يمكن تجنبه في تيارات الفكر الإستراتيجي ، يمكننا أيضاً تمييز ثلاثة مدارس كبيرة ظهرت بشكل متعاقب وهي ما تزال موجودة :

1- المدرسة الكلاسيكية :

وتتركز حول قيادة الحرب ، وتجمع كل المنتمين إلى المفهوم التقليدي للحرب حول نموذج واحد وهو النصر . ترى هذه المدرسة أن الإستراتيجية هي فن الجنرال وهي معرفته التي يتمتع بها كقائد أو كعبقري ، معرفة تسمح له وتحدد مدى استعداده للنصر أو الهزيمة .

2- المدرسة الكلاسيكية الجديدة :

وظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، وقد ساهم في ظهورها تقدم العلوم الاجتماعية و الدراسات العلمية . هذه العلوم أعطت بعداً جديداً ووعياً للظروف والبيئة التي يمكن أن تحيط بالإستراتيجية . بقي نموذجها يستند على مفهوم تحقيق النصر، ولكن الحرب هي من الآن فصاعدا تدخل في أفق صراعي أكثر ضخامة واتساعاً، كأن يكون لدينا إستراتيجيات للسلام ليس فيها بعد عسكري . من أهم أعلامها الأميرال Castex في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، و Bernard Brodie في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأخيرا Beaufre في فرنسا.

3- المدرسة الحديثة :

لم تتطور هذه المدرسة بشكل حقيقي إلا بعد عام 1945. ترك هذه المدرسة نموذج النصر الذي تسعى الحرب لتحقيقه ، وبدأت تقرأ الإستراتيجية كعلم اجتماعي لا يمكن وضع حدود له فقط داخل حقل الصراع و المعارك.هذه المدرسة أو الإستراتيجية الحديثة كانت عملاً أو نتيجة لباحثين مدنيين، أيضاً شارك فيها العديد من العسكريين . إشكالية هذه المدرسة كانت في التمييز بين هؤلاء الذين بالفعل جددوا نظرية الإستراتيجية كما هو الحال مع Thomas Schelling في الولايات المتحدة أو الجنرال Lucien Poirier في فرنسا ؛ وأولئك الذين يكتفون بخطاب يستند على أفكار قديمة.

إن الاختلاف و الانقسام حول مفهوم الإستراتيجية في عالمنا المعاصر ليس إلا انعكاسا للانقسام والاختلاف حول النظام الاجتماعي بأكمله وخاصة في قرن عرف تغيرات جذرية وكبيرة على مستوى البشرية جمعاء.

البند الثاني : الإستراتيجية كنظرية ومذهب

يجمع الكثير من مؤرخي الإستراتيجية على أن المفاهيم التي ظهرت حولها هي ناتجة عن الفكر الاستراتيجي وعن الإستراتيجية كعلم . أو بشكل آخر، الإستراتيجية هي معرفة في خدمة الفعل أو التطبيق للإستراتيجية كفن . عملياً ، العلم الاستراتيجي يتألف من جانبين مختلفين أو متميزين عن بعضهما وقد دعاهما Foch بالنظرية والمذهب[58].

1- النظرية :

بشكل عام النظرية تهدف إلى تعميق مفاهيم و مناهج معينة ، وتريد الوصول إلى معرفة يمكن استخدامها بشكل عام وشامل ، استخدام مستقل عن الجغرافية و التاريخ . إن أسس النظرية يمكن أن تكون متعددة ولكن مع ذلك يمكنها أن تؤسس نظرية موحدة . هذا التعدد وطبيعة متغيراته من الصعب تحديده . حيث

---

[58] - Foch، " Des Principes de la guerre"، باريس ، الصفحة 94.

نفس الوظائف والحاجات يمكن أن تؤدي إلى إجابات مختلفة بشكل كبير وذلك وفق المجتمعات . إذا يمكن القول هنا، إن بناء نظرية موحدة هو عمل في غاية الصعوبة.

مع ذلك ، هذه الحالة والصعوبة في بناء النظرية لا تؤدي بشكل تلقائي للأبحاث المتعددة والمتغيرة وفق المجتمعات التي تنشأ فيها . ومن غير أن ندخل هنا في التناقضات اللاهوتية حول طبيعة البشر، ومن الضروري القول أن تنظيم المجتمعات البشرية يصل إلى درجات معينة من التعقيد المطابق لاهتمامات البشر. فبناء سياسة خارجية لدولة كبرى ولها قوة عظمى لا يشبه بناء نفس السياسة لدولة صغيرة هامشية .

عرف أحد علماء السياسة المعاصرين النظرية بأنها :" على الأقل مخطط،برنامج لتسجيل،تصنيف وترتيب المعطيات و المعارف . أيضاً النظرية،على الأقل،تستطيع الحصول على قوة تنظيمية وقيمة نقدية"[59]. بالإضافة الى ذلك ، يمكننا تنظيم وظائف النظرية حول ثلاثة محاور وفق وظائف اللغة[60] .

أولاً - **وظيفة التعبير :** فالوصول إلى الكتابة ليس تغيير بسيط ، بل يجبر الكاتب ببذل جهد كبير وصارم . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العسكريين يكتبون بشكل أكثر بساطة وعدم تعقيد ، من رجال الدولة أو الدبلوماسيين ، وهذا يعني أنهم بحاجة وبشكل قوي إلى نظرية . فوظيفة التعبير، هي النظرية الإستراتيجية في ذاتها أو هي نفسها، وهذا يعود للشخص الذي يكتبها أو يبنيها .

ثانياً - **وظيفة الاتصال** : ومن خلال هذه الوظيفة "المعلم"ينقل معرفته إما إلى تلاميذ مختارين ، كما كان في الزمن القديم ، أو على قراء لا يعرفهم ، كما حصل مع بداية العصور الحديثة . وتحول هذه الوظيفة من الحالة الشفهية على الكتابية حتى يتم ضمان وصول الرسالة ومعرفة أصحابها أو منظريها بشكل أفضل .

ثالثا- **وظيفة التمثيل** :هذه الوظيفة تتخيل رموزاً أو صوراً إستراتيجية لم يتم وجدودها بعد . هذا البعد مرتبط بتحولات اجتماعية/سياسية تتعلق بتغيرات فن الحرب . وظيفة التمثيل أخذت أهمية كبيرة بعد النمو السريع في التقنية ، ففي العالم الأكثر تعقيداً، الإستراتيجية تحتاج أكثر من أي وقت على مساندة نظرية تمثلها أو تقدمها.

إن هذه الرؤية للنظرية وأهميتها تجعلنا نطرح السؤال التالي: ما هي غاية النظرية؟ وهل هناك مقاربات مختلفة لهذه الغاية؟

المقاربة " الواقعية" تقودنا للحديث عن الاختلاف و التنوع في البشر، ومدى قدرة النظرية على أن تُعَمَّم حيث تجردها سيصبح أكثر ضعفاً، وربما تتحول إلى تاريخ . أما المقاربة"المثالية" هي أكثر طموحاً، ولكنها أكثر صعوبة أيضاً. فهي تتطلب دقة كبيرة في توظيف المفاهيم ، هذه المفاهيم التي سيتم إدراكها كأفكار عامة ولكن ليست مطلقة . هذه المقاربة أيضاً، ستضع تحت الضوء ، وبالإضافة للتنوع والانقسام الذي نعرفه بعد التجربة التاريخية ، جوهراً معيناً سيخدم كنقاط معينة من أجل بناء النظرية . الإستراتيجي الشهير Clausewitz اعترف بوجود شكلين للحرب ، لأن المجابهة الواضحة للنظرية مع الخبرة الشخصية قادته للوصل إلى أن **مفهوم الحرب المطلقة** لا يأخذ بالحسبان شمولية **الحرب الحقيقية** ويضيف:" النظرية عليها أن تقبل كل هذا، ولكن واجبها هو بإعطاء المكان الأول للشكل المطلق للحرب ، كنقطة مرجعية ، لأن من يريد أن يتعلم الأشياء النظرية فإنه سيتعلم على ألا يفقدها نهائياً الرؤية"[61].

أما تلميذه Rosinski فقد نقل تعليماته إلى الإستراتيجية البحرية :" نظرية مثالية تشير بشكل قوي إلى أن السيطرة على البحر هي المفهوم الوحيد الذي من خلاله نظرية مطلقة ، كاملة و مرضية للحرب البحرية يمكن أن تتطور، حتى ولو أن هذا الهدف لا يصل لحد التطبيق"[62]. إذا المشكلة الحاسمة هي في المصالحة بين المتطلب النظري مع براغماتية الإستراتيجية ، أو في بناء نظرية لا تكون منقطعة عن الحقيقة التي لها قيمة عملية كبيرة . فالنظرية الإستراتيجية يجب أن تترافق بجرعة تجريبية . أو أخيراً، كما يقول "ريموند آرون" :" التفكير بكل وضوح ، مفهوم الحرب و حقائق الحرب"[63].

---

[59]- Jean-Louis SEURIN،" مخطط من أجل تحليل مقارن للحكومات"،بالفرنسية، باريس، دار النشر الجامعية لفرنسا،1989.

[60] - Karl Popper في Konard Lorenz et Karl Popper ،" المستقبل مفتوح"، باريس، دار نشر Flammarion،1995،الصفحة 117.

[61] - Carl CLAUSEWITZ ،" الحرب"، مرجع سابق، الصفحة 673.

[62] - Herbert ROSINSKI،" Commentaire de Mahan"، الصفحة 55.

[63] - Raymond ARON،" Penser la guerre"، الجزء الأول،الصفحة 23.

إذا كان على النظرية أن ترتبط بالواقع والتجربة ، فما هي المستويات المتعددة لهذه النظرية؟

إن النظرية تفترض جهداً من التفكير حول المفاهيم وحول المناهج أو الطرق والتي يصعب تحقيقها في الكثير من الأحيان . إذاً من الضروري وداخل التمييز الجوهري بين المذهب والنظرية أن نجري عملية من التصنيف أكثر دقة **. بمعنى أننا نميز بين النظرية الإستراتيجية و التحليل الإستراتيجي ،** وذلك وفق درجة الدقة والصفاء الفكري . فالمنظر الإستراتيجي يسعى لتقديم عمل إبداعي وفق تفكير منهجي منظم ، بينما المعلّق الإستراتيجي له حدود تقف عند دراسة حالة معينة ، معتمداً على نظريات أو منظرين إستراتيجيين.

كذلك ، وضمن هذا التحليل يمكن أن نقول بأن Jomini, Clausewitz, Mahan, Corbett, Castex, Fuller, Liddell Hart, Douhet, Beaufre, Poirier, Schelling...هم منظرون إستراتيجيون، بينما Caemmerer, Mordacq, اللذان يعلقان على كتابات إستراتيجية في القرن التاسع عشر، Puleston Lepotier, اللذان هما امتداد للإستراتيجي Mahan وآخرون كثيرون هم محللون إستراتيجيون.

في الواقع ، لا يمكن الفصل النهائي بين النظرية والتحليل . كما هو الحال في علم اللاهوت والفلسفة ، حيث تعليقات وتحليلات المؤسسين ترقى إلى تجديد كبير قد يصل إلى ثورة داخل هذه العلوم . أما المعيار الأساسي هنا كما في أماكن أخرى ، هو الموهبة التي توضع في خدمة مشروع ما . أيضاً يمكننا القول أن منظرين إستراتيجيين لا يصلون على حد بناء نظرية متكاملة وفق ما يطمحون إليه ، ونرى منظرين يقدمون قيماً فكرية عظيمة لكنها تنهار مع أول تجربة عملية لها .

2- المذهب Doctrine

يقول Lucien Poirier :" المذهب يسبق اختياراً محسوباً داخل مجموع النظريات الموجودة . يَستخرج منها مفاهيم يفضلها في عملية التطبيق أو الفعل". (من كتابه " الورشة الإستراتيجية الصفحة 129). إن المذهب له طابع محلي وليس شمولي ، ويتم تبنيه ضمن إطار وطني ، كما أن له نهاية أو غاية عملية كما يقول Jacques Laurent :" المبادئ القائدة ، عندما يتم تشكيلها ، تخدم كدليل أو مرشد في بناء القرارات العملية التي سنتخذها". (من كتابه " أداة من أجل الفكر العسكري السوفييتي"، الصفحة 47).

وقد ورد في الموسوعة العسكرية السوفييتية تعريفاً للمذهب:" بأنه نظام من وجهات النظر التي تتبناها الدولة خلال فترة زمنية معينة ، منطلقاً من الأمور الجوهرية ، الأهداف وطبيعة حرب ما قادمة ، أيضاً تحضير البلاد و القوات العسكرية لهذه الحرب ووضع الوسائل الممكنة". أما الولايات المتحدة فقد عرّفت المذهب :" هو الدليل من اجل قيادة الحروب والعمليات الأخرى غير الحروب".

في الواقع، الحوار المذهبي الإستراتيجي يجب أن يصل إلى نتيجة في تبني مذهب رسمي يتم فرض تطبيقه ، وقد تم شرحه في تعليمات أو منشورات تؤسس قواعد أو كتاباً أبيضاً . القوات المسلحة الأميركية تنشر بشكل دوري نصوصاً مذهبية ، وقد تم نشرها وتغييرها خلال سنوات متعددة (1954، 1993،1986،1982،1963).

يمكن القول ، تربط المذهب علاقة قوية بالنظرية : فالمذهب يحتوي عادة على النظرية بشكل واضح أو مبطن، مباشر أو غير مباشر . ولكن هذه العلاقة بين طرفي علم الإستراتيجية لم تتطور بشكل مماثل في العالم المعاصر . وهنا نستطيع القول أن النظرية هي بشكل جوهري عمل تراكمي ، بمعنى أنها تستند في أجزائها على كتابات ماضية ، وعلى مفاهيم ومناهج من الماضي تم تعريفها مسبقاً ، والهدف هو إغناء هذه النظرية ومحاولة وصولها إلى الكمال . على العكس من ذلك ، المذاهب تأتي بشكل متتال أو متعاقب ، أي بشكل متقطع ، من غير أن نراها ترتبط بالمذاهب التي سبقتها أو التي تظهر وتنشر في مكان آخر ، وحتى في الشكل العملي للعلاقة بين المذاهب ، القطيعة لا تكون نهائية ، إلا أننا نرى العلاقة بينها بطيئة ، ضعيفة وكل مذهب إذا أراد الارتباط أو الأخذ من مذهب آخر فيكون من خلال محاكاته أو تقليده . في النتيجة ، إن طرق ومناهج التعبير هي مختلفة بين الجانبين ، النظرية والمذهب . وتبقى النظرية الإستراتيجية هي قبل كل شيء فكر منفتح ، بينما المذاهب الإستراتيجية فيها الكثير من التستر على الأسرار والأفكار، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون الدفاعية .

بالاستناد إلى تحليل العلاقة بين النظرية و المذهب ، نستطيع تحديد بعض الأمور المتعلقة بطريقة عمل المذهب . على الخلاف من النظرية أو من النموذج الأمثل لها ، المذهب لم يكن في أي يوم من الأيام حيادياً ، فهو يُدار ويُحكم بواسطة مبدأ الفعالية و الثبات . وهو من أجل الاستخدام الداخلي والخارجي في نفس الوقت .

في الداخل ، يهدف المذهب لخلق مجتمع أو تجمع من الفكر بهدف القيام بفعل ما .(انظر: Foch،مرجع سابق، الصفحة 101) . خلال العديد من القرون ، كان عمل المذهب يتركز على تعريف طريقة وعمل الأسلحة ، وهذا العمل بشكل عام لم يختلف من بلد لآخر إلا بشكل بسيط جداً . إذا كانت وظيفته ، بالتحديد ، وظيفة عملية ، ونذكر هنا أن Clausewitz أبعد من حقل ومجال التفكير الإستراتيجي كل ما يتعلق بتحضير الحرب . فمجال المذهب كان محدداً بدقة ولم تتطور هذه الوظيفة إلا بشكل بطيء .

ومع التقدم التقني السريع ، كان على المذهب وضع تعريف جديد لتوظيف الأسلحة ، بمعنى ما هي الأسلحة التي يجب أن نستخدمها في البداية . وفي نفس الوقت ، كان عليه الموافقة بتحديد مكان لأشياء جديدة أكبر

من الماضي أو قبل عام 1789. ففي العصر الحديث كان على المقررين أن يواجهوا ضرورة الاختيار بين أمور متعددة . هذه الاختيارات تنتج بشكل أقل عن تطور موضوعي لإمكانية العتاد أو المواد ، وشكل أكبر عن مفاهيم يجب اختيارها . فالتأخر التقني ليس فقط نتيجة للافتقار إلى الوسائل ، بل ينتج أيضاً عن التأخر و الجمود الفكري .

وعلى العكس ، الذي أخذوا بمقاربة "فردية" يؤيدون أن طاقة المعركة واستخدام الذكاء في حالة معينة خاصة، بالنسبة للقادة ، هي عوامل نجاح ذات قوة وتأثير أكبر من المذاهب التي توضع بشكل مسبق. وعملياً هذا الرأي يتفق بشكل كبير مع Clausewitz الذي يعطي دوراً مهماً للصدفة و الحظ أثناء الحرب . مع ذلك، هذا الأخير كان قد تحدث في السابق عن أن المذهب المشترك هو أفضل وسيلة لضمان فهم أفضل للأوامر والأنظمة الموضوعة . ولهذا السبب ، في ظل غياب مذهب معين للقيادة في الحروب و المعارك ، فإن موت أحد القادة العسكريين الكبار أو القادة المباشرين قد يؤثر بشكل كبير سلباً على المعركة أو الحرب .

بالإضافة لما سبق ، وفيما يتعلق بانتشار المذهب بشكل واسع أو ضيق ، يمكن القول أن المذهب هنا على عكس النظرية أيضاً . فالنظرية في الغالب تنتشر بين "نخبة" فكرية ، بينما المذهب ينتشر بشكل واسع، فليس القادة وحدهم من يفهمه ويعرفه ، بل على المنفذين له أيضاً أن يمتلكوا معرفة دقيقة للمذهب .

القسم الثالث : المناهج و الطرق الإستراتيجية

من خلال طرحنا أو سؤالنا عن المناهج المستخدمة في العلوم الإستراتيجية ، نكون قد وصلنا إلى موضوع بالغ الأهمية يتعلق بهذه العلوم . فعلم الإستراتيجية كما الفروع العلمية الأخرى لديه أصول معرفية ، ولديه أيضاً منهجيته أو طريقته . ومن الإشكاليات المطروحة في هذا الشأن أمام الكتاب الإستراتيجيين أنهم لا يمتلكون تكويناً أو معرفة فلسفية أو أكاديمية تسمح لهم بإجراءات مقاربات معينة في الأفكار والمواضيع التي يطرحونها .

Clausewitz أحد كبار الكتاب الإستراتيجيين ، كان قد درس جيداً الفيلسوف الألماني الشهير فيخته Fichte لأنه وعى مبكراً على أهمية التكوين الفلسفي للكاتب الإستراتيجي . مع ذلك يرى بعض مؤرخي الإستراتيجية أنه لم يصل إلى المرحلة التي تقدم فكراً نقدياً ، بل كان لديه كتابات عامة . ويقول "ماكس فيبر"Max weber في الحديث عن الإستراتيجيين :" معظمهم فهم هذا الحقل العلمي أو أدركه كمعرفة موضوعية مشيدة على قواعد شاملة وعالمية ، ولكن علم الإستراتيجية ، في الغالب ، ليس إلا ترجمة لتجربة تاريخية محدودة ومحلية"[64].

[64] ـ ماكس فيبر، " دراسة حول نظرية العلم، صادر في باريس،بالفرنسية،دار نشر Plon، سلسلة أبحاث في العلوم الإنسانية،عام 1965.

أيضاً الإستراتيجي الشهير Mahan، استبعد في دراساته أية نظرية شاملة للقوة البحرية انطلاقاً من دراسة تاريخ بحري واحد لأوربا الحديثة . ونذكر هنا أنه في القرن التاسع عشر، كانت دراسة التاريخ المصدر المفضل ، إذا لم نقل الوحيد، من أجل دراسة الحرب . وقد ذكر نابليون هذا الموضوع أكثر من مرة عندما قال :" إذا أردت القيام بحرب هجومية مثل الإسكندر، هانيبال، القيصر، أو غيرهم، اقرأ، ثم أعد قراءة التاريخ فيما يتعلق بالثلاث والثمانين حملة قاموا بها، كن مثلهم أو قلدهم، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لتصبح قائداً كبيراً". (من كتاب ملاحظات نابليون الأول، الجزء السادس، الصفحة 179).

إن هذا المصدر التاريخي تحول بشكل طبيعي إلى منهج، هو المنهج التاريخي والذي وصل إلى ذروته بين عامي 1880 - 1914، وتم تطبيقه في كل مكان، لاسيما في الإستراتيجيات البرية والبحرية، علما أن هذا المنهج تم الخروج عليه في العديد من الحالات في فرنسا وألمانيا، وأيضاً على يد كبار مؤسسي الإستراتيجيات البحرية وأهمهم الأمريكي Alfred T.Mahan و البريطاني Philip Colomb. من جهة أخرى، كان هذا المنهج في منافسة كبيرة مع منهج آخر لا يعتمد على التاريخ بل على "الحاضر" بمعنى أنه اعتمد على مقاربة أخرى وهي التقدم الكبير والجذري في المجال التقني و على الثورة الصناعية. وكانت بداية التمييز بين المنهجين مع البريطاني Reginald Custance الذي ميز بين المنهج التاريخي و المنهج المادي في بداية القرن العشرين في كتابه " Naval Policy" الصادر عام 1907.

أما الكتاب العسكريون في نهاية القرن التاسع عشر، فقد فضلوا مواجهة المنهج التاريخي بمنهج آخر هو المنهج العقلاني، والذي وجد أصوله في المقاربة الهندسية عند التكتيكيين في العصر الحديث. من جهتها، الجغرافية العسكرية بنت منهجها الخاص في البحث الإستراتيجي. أما بالنسبة للمنهج العقلاني والمنهج الوضعي فهما متجاوران بشكل كبير إذا لم نقل أنهما متماثلين في الكثير من الحالات، والتفريق أو التمييز بينهما يعود لاعتبارات تاريخية . أما فيما يتعلق بالمنهج الفلسفي فإنه يتميز من خلال موضوع الدراسة الخاص به أكثر مما يتميز بالطريقة، وهو ليس إلا تطبيق نوعي للمنهج العقلاني .

1- المنهج التاريخي

وهو الأكثر استخداماً، أو على الأقل كان كذلك حتى الثورة النووية . هذا المنهج يعتمد المقارنة والتجربة أيضاً، ولكنه لا يعتبرهما عملين إجباريين في البحث . الإستراتيجي والجنرال البروسي Scharnhorst، في نهاية القرن الثامن عشر، فضّل العمل على أمثلة قليلة، ولكن على أن تتم دراستها بعمق . أما الجنرال Hubert Bonnal، في نهاية القرن التاسع عشر، وضع منهجاً يتألف أو يقوم على مثال واحد بهدف الوصول لنتائج إستراتيجية أكثر منها تكتيكية . بشكل عام ، المنهج التاريخي كان يهدف من خلال مقارنة التجارب التاريخية المتعددة ، الوصول إلى وضع قوانين أو قواعد محددة . لقد عرف هذا المنهج العديد من الصعوبات أو عدم الوصول إلى القناعة التامة به كمنهج متكامل . من هذه الصعوبات هي الطابع غير الكامل أو غير الأكيد للمصادر خاصة القديمة منها .

2- المنهج الواقعي

تحت اسم هذا المنهج تختفي الطريقة المادية القديمة التي تتأسس على وسائل موجودة في بيئة محددة أكثر مما تتأسس على معاينة موروثة من الماضي والتي ليس لديها الكثير لتقديمه لنا . فالكثير من الدروس التي استفيد منها في حروب ماضية لا يمكن الاستفادة منها الآن كما لا يمكن استخدامها . ونشير هنا أننا عندما نقول منهج "مادي" فإن هذه التسمية لا تقتصر على جانب مادي مطلق ، لأن العوامل الإنسانية يبقى لها دور بالغ الأهمية، وأيضاً استطاعة الوسائل المادية يجب أن تترافق و تتوافق مع الطريقة التي نريد استخدام هذه الوسائل فيها .

في الواقع، المنهج الواقعي يعمل على وضع الإستراتيجيات وفق عمل وسير الوسائل الممكنة. وهو ينقسم إلى **فرعين**: المنهج الموضوعي والذي يرتبط بقدرة الوسائل المتاحة، والمنهج الذاتي/الشخصي المرتبط بالمذاهب المستخدمة والتي يمكن ألا تتطابق مع القدرات القصوى للوسائل المتاحة، أو ألا تتأقلم نهائياً معها.

3- المنهج العقلاني/العلمي

المنهج العقلاني أو الذي يمكن أن نسميه بالعلمي ،" يُقترَح من خلال الانطلاق من أولوية وسائل الإستراتيجية، حتى الوصول ومن خلال البراهين،إلى القواعد التي ستتبع ومن أجل تحديد الأجزاء الأكثر أهمية و التي يمكن استغلالها بشكل كبير"[65]. إن الخطوات التي يتبعها هذا المنهج ليست مؤسسة على الخبرة أو التجربة ، كما في المنهج التاريخي، وليس مؤسسة على الوسائل، كما في المنهج الواقعي، بل مؤسسة على المنطق الخالص .

استُخدم هذا المنهج منذ زمن بعيد حيث ظهر في البداية بشكل أو هيئة هندسية ، لاسيما عند مؤسسي الفكر التكتيكي الحديث،إن كان في الإستراتيجيات البحرية أو البرية. المارشال Puységur استند بشكل واضح على علم الهندسة ويقول في كتابه "فن الحرب": " قاعدة وأساس كل فن الحرب هي في القدرة على تشكيل أنظمة جيدة للمعارك وجعلها تتحرك و تتفاعل ضمن قواعد كاملة أو الأكثر كمالا في الحركة ؛ وهذا ما يمكن استخراج مبادئه من علم الهندسة".

ويبدو أن معظم ، إذا لم نقل جميع ، الكتاب الإستراتيجيين استندوا على هذه المبادئ من اجل تقديم تعريف القواعد و الأنظمة بشكل ناجز أو كامل ، و يمكن تطبيقها في جميع الظروف من غير العودة لوضع الخصم أو اعتباراته الخاصة ، أو حتى إعطاء اعتبارات خاصة للميدان . إن المنهج العقلاني المستند إلى العلوم الهندسية تحول إلى مخططات إستراتيجية عند الكثيرين أثناء المعارك وحروب الاستقلال .أما اليوم فقد اختفى هذا الإعجاب الكبير بهذا المنهج أو الطريقة، مع العلم أن المنهج العلمي عرف تطوراً هاماً على مستوى العمليات و التكتيك.

أخيراً، ومع بداية القرن العشرين، بدأت الكثير من الجيوش البحث عن تطبيقات أكثر خفة وسرعة. وأثناء الحرب العالمية الثانية ، وضع الأمريكيون و البريطانيون مجموعات علمية مكلفة بتحسين توظيف عمل الرادارات والوسائل المضادة للغواصات . وقد أصبح البحث العلمي في العمليات شيئاً معتاداً ومفتوحاً أمام التحليلات المنهجية .

4- المنهج الجغرافي

استطاعت العلوم الجغرافية العسكرية أن تؤسس منهجاً تقدم و تدرج بشكل مستمر حتى أصبح"حقلاً علمياً" كاملاً ومطلوباً بشكل كبير وهو **"الجيوإستراتيجية".** هذا المفهوم قديم جداً وأكثر مما نعتقد، فقد ظهر مع "الجيوتكتيك"،والذي لم يعرف نفس الحظ ، تحت ريشة الجنرال الإيطالي Giacomo Durando في عام 1846. لكن هذا المنهج لم يتأسس بشكل حقيقي إلا في نهاية القرن التاسع عشر. وبينما المنهج التاريخي والمنهج الواقعي يهتمان كليهما "بالأداة"،أي بالقوى المسلحة ؛ إلا أن المنهج الجغرافي يهتم "بالوسط" أو البيئة التي تعمل فيها "الأداة".الجغرافية العسكرية تهتم بصفات الأرض و الميدان،أما الجيوإستراتيجية فتهتم وتحلل المسافات ،وهذا عامل رئيسي في الحرب الحديثة.

5- المنهج الثقافي

يعتبر هذا المنهج من المناهج التي وضعت حديثاً، فمفهوم الثقافة الإستراتيجية لم يوضع ويفرض إلا مع نهاية السبعينات من القرن العشرين . فقد استخدمه بشكل واضح أكثر من غيره البروفسور الأمريكي في العلاقات الدولية Jack Snyder، وفي كتاب بعنوان The Soviet Strategic Culture والصادر في عام 1977. المنهج الثقافي يعتمد على مجموعة من العلوم وأهمها السيكولوجية ،الإتنولوجية و السوسيولوجية. يبحث هذا المنهج عن إقامة ثقافات إستراتيجية يمكن تعريفها كالتالي:" وهي مجموعة من المواقف و المعتقدات المفضلة داخل معهد أو مؤسسة عسكرية ، فيما يتعلق بالهدف السياسي للحرب والطريقة الإستراتيجية و العملاتية الأكثر تأثيرا و التي يمكن الوصول إليها"[66].

يقصد بهذا التعريف وكما هو متعارف عليه بين الكتاب الإستراتيجيين الفرنسيين، تحديد في أية أجواء ومناخات تجذرت المحاور الكبرى للإستراتيجية داخل الثقافة الوطنية بشكل أساسي، لأن هذه الثقافات الإستراتيجية الوطنية يمكن أن تترافق أو تواكب ثقافة إستراتيجية تعود لفرد أو جماعة، حيث كل جيش يستطيع أن يقول أن له ثقافته الإستراتيجية التي يمتلكها . ففي الولايات المتحدة الجيش يعطي مكانة خاصة للإستراتيجي Jomini، والقوى البحرية تعطي هذه المكانة للإستراتيجي البحري Mahan، أما القوى الجوية مع Douhet وهو منظر الحرب الجوية الإيطالية[67]. إن مفهوم الثقافة الإستراتيجية

---

[65] - Antoine Grouard ،" الإستراتيجية"، مرجع سابق،الصفحة 29.

[66] - هذا التعريف جاء في بحث تحت عنوان "الثقافة الإستراتيجية الفرنسية"،الكاتب Bruno Colson،من مجلة "الإستراتيجي" العدد 53،الفصل الأول 1992،الصفحة 29.

[67] - انظر : Russel WEIGLEY، " The American Way of War"، صادر في نيويورك ولندن، عن دار نشر Macmillan-Collier، 1973.

استلهم الكثير من الثقافة السياسية التي جاء بها الكتاب السياسيون الأمريكيون في سنوات الستينات مثل Gabriel Almond, Sidney Verba في كتابهما (The Civic Culture ،1963)، و Lucien Pye في
(Political culture and Political Development ،1965).

6- المنهج التركيبي

هذا المنهج يتكون من مجموع المناهج السابقة . ولكن لابد من القول هنا أنه من الصعب العثور على كتابات قديمة أو كلاسيكية استخدمت هذه المناهج مع بعضها . وتشير بعض الدراسات التي أرّخت علم الإستراتيجية على أن الأميرال Castex في كتابه "نظريات إستراتيجية" اقترب كثيراً من استخدام المنهج التركيبي . بعد الأميرال Castex يأتي Bernard Brodie والذي استخدم المناهج التاريخية و الواقعية معاً، وخاصة في أعماله الأولى حول الإستراتيجية البحرية، ولكنه لم يعط مساحة أو مكانة واضحة للمنهج الجغرافي ، ولم يعرف أيضا قيمة المنهج الثقافي إلا بشكل متأخر.

7- المنهج الفلسفي

وهو الجزء الأرقى والأصعب في علم الإستراتيجية . ويعتبر الصينيون أول من استخدم هذا المنهج أو الطريقة . وبينما الفكر الاستراتيجي الغربي امتلك قاعدة تاريخية ، الفكر الإستراتيجي عند الصيني Sun Zi ومن أتى بعده كانت يرتكز على أسس فلسفية . حيث أراد الإستراتيجيون الصينيون تطبيق المنهج الفلسفي والحكمة في مجال الحرب ، كما في المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية[68].

المنهج الفلسفي وكما يقول Clausewitz يهتم بجوهر الحرب ، أو بجزء منها كما يقول Corbett و Rosinski في عملهما عن الحرب البحرية، أما اليوم فيهتم هذا المنهج بالعلوم الإستراتيجية كعلوم معرفية، ويساند هذا المفهوم الإستراتيجي Poirier . أما الصفة المشتركة بين هؤلاء هي ما نستطيع تسميته بالمتطلب النظري، بمعنى الإرادة في تجاوز الأشياء كما هي، أو تجاوز الطبيعة المادي للأشياء من أجل فهم طبيعتها الفلسفية و المعرفية،أما الهدف النهائي فهو الوصول إلى نظرية موحدة.بالنسبة للعالم الغربي،يعتبر Clausewitz النموذج الذي لا يمكن تجاوزه،إن كان فيما يتعلق بعمق أفكاره أو من خلال قلقه الدائم من أجل ربط التطورات العملياتية بالنظرية[69].

بعد محاولة القراءة السريعة لمناهج البحث الإستراتيجي، لابد من طرح سؤال في غاية الأهمية يتعلق بجميع هذه المناهج : **هل يمكننا تحديد منهج واحد من بينها يكون أكثر دقة من غيره؟**

المنهج التاريخي هو منهج متغير بشكل كبير، بمعنى أنه من الصعب أن يكون منهجاً شاملاً وقادرا بشكل دائم على الوصول إلى الحقيقة. **والمنهج الواقعي** يقدم الموضوع التقني على غيره . بمعنى أن يبحث عن الوسائل الممكنة التي مصدرها التقدم التقني .أما **المنهج الجغرافي،** فيعطي الأولية للوسط أو البيئة . وكما رأينا ذلك مع منظري الجيوإستراتيجية في القرن العشرين . وبالنسبة **للمنهج العقلاني ـ العلمي** فإنه يهمل العوامل المادية ويصل إلى اختزال الحرب إلى قواعد رياضية أو هندسية . بمعنى أن هذا المنهج يبحث عن صيغة دائمة يمكن تطبيقها في جميع الظروف.

وفي **المنهج الثقافي** نجد أنه مرتبط بالبيئة الاجتماعية. وهنا يقترب كثيراً من المنهج الواقعي ليشير إلينا بمتغيرات الإستراتيجية حسب المكان والزمان .أما **المنهج التركيبي** الناتج عن التوفيق بين العديد من المناهج، وهو بالتعريف منهج متعدد ويرتكز على إستراتيجية متعددة الوسائل . وأخيرا **المنهج الفلسفي** الذي يرتكز بشكل جوهري على النظرية. فهو بهذه الحالة لا يستند على عامل واحد بشكل خاص ، بل يحاول فهم ظاهرة الصراع بأقصى حد ممكن من الدقة والصرامة العلمية،ثم يضعها في بيئتها الخاصة للوصول بالوسائل المستخدمة إلى الغايات النهائية المنشودة.

---

[68] ـ انظر ، Everett L. WHEEler، "The Origins of Military Theory in Ancient Greece and China "، يمكن إيجاد هذا المرجع على العديد من مواقع الإنترنيت.

[69] ـ يمكن العودة هنا إلى James B. SMITH، "Some Thoughts on Clausewitz and Airplanes"، صادر عن Air University Review، آب 1986.

الفصل الخامس

الإستراتيجية كنظام

1 ـ مدخل

عرف العالم بعد الحربين العالميتين الكثير من التطورات وعلى كافة الصعد . فقد تضاعف عدد سكان العالم، وزاد النمو الاقتصادي في الكثير من الأقاليم و القارات . وترافق هذا النمو و التطور مع تقدم على المستوى التقني و التكنولوجي . هذا قاد إلى تغيرات سياسية واجتماعية لحقت في جميع الميادين والقطاعات، مما أدى لزعزعة العديد من البنى الاجتماعية والثقافية السائدة والقديمة.

نحن نعرف أن الحرب في القرن التاسع عشر كانت حروبا وطنية،وأصبحت في القرن العشرين حروبا أيديولوجية. لقد كانت حربا صناعية في التاسع عشر وأصبحت شاملة في القرن العشرين،أي وظفت كل مصادر الدولة وثرواتها وطاقتها من أجل خدمة الحرب.والمثال الأكبر على هذا التوظيف الشامل هو أن البشرية فقدت في الحرب العالمية الثانية ملايين الضحايا. **والنتيجة هي إعادة بناء بعض أولويات إستراتيجيات الإبادة أو التدمير. ففي حرب شاملة لم يعد الهدف هو الحصول على مكاسب جديدة من الأرض أو توازن الرعب والقوة ، بل التدمير النهائي للخصم .**

في الحربين العالميتين،تطور الأسلحة من الناحية التقنية كان أسرع من المتوقع. فقد أصبحت الحرب تستخدم الآلة بشكل كبير،وهذا ما سمح بتوسيع مساحات المعارك،لا بل مهاجمة الخصم في أرضه نفسها،ثم العمل على اجتياحها. وهنا كانت نتيجة جديدة وقاطعة : **تمدد وتوسع مسرح المعارك،حتى وصلنا إلى مفهوم جديد سميناه بالجيوإستراتيجية، أي إستراتيجية المساحات أو الفضاءات الكبيرة والتي تنظم العمليات التي تجري في وقت متزامن على مسارح منفصلة.** أما الوصول لتصنيع السلاح النووي فقد احدث انقلابا كبيرا في عمليات التسليح،وهذا ما أحدث بدوره تشظٍ أو تجزئة للإستراتيجية.

لقد ذكرنا في السابق أن الإستراتيجية عرفت في تعريفها القديم "بفن الجنرال". وهذا المفهوم يعود إلى العهد اليوناني القديم،وبقي كذلك حتى نهاية العصر الحديث،ولم يحدث تغيرات كبيرة على المفهوم إلا في عهد حديث ويعود هذا لتأثيرات كبيرة ناتجة عن التطور التقني،الفكري والاجتماعي في القرن العشرين.لقد وضع مؤرخ العلوم "توماس كوهان" بنية للثورات العلمية تسمح بفهم المتغيرات التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية والأسئلة الكثيرة التي دارت حولها.

يقول "توماس كوهان" إن تطور العلم تمركز حول أربعة مراحل:[70]

1 ـ في البداية وجدت نظرية أو مجموعة من النظريات كان عليها اتفاق كبير،ويمكن أن نسمي هذه النظريات "براديغم"[71]. فالبراديغم يعطي أو يأخذ بالحسبان حالة العلم في لحظة معينة.فمثلا يمكننا التحدث عن براديغم نيوتن في الفيزياء اعتبارا من القرن السابع عشر،وبقي مقبولا حتى الثورة في حقل "النسبية".

2ـ تأتي لحظة معينة يصاب البراديغم فيها بأزمة.فالعمل المستمر للباحثين يعطي ويطرح أسئلة جديدة،وهذا البراديغم لا يستطيع أن يعطي دائما أجوبة كاملة على الأسئلة المطروحة.إذن تظهر حدود لا يكون هناك قدرة على تجاوزها،وبالتالي في هذه الحالة يصبح المناخ مستعدا بشكل أكبر لظهور براديغم جديد يرد بشكل أفضل على الأسئلة الجديدة التي يطرحها تقدم العلم والمعرفة.

3ـ هذا البراديغم الجديد سيخضع للمواجهة مع المعطيات العلمية الموجودة لاسيما النقد الموجه من قبل البراديغمات السائدة.هذه المرحلة الثالثة تتصف بوجود حوار قد يتحول إلى صراع بين وضعية في طريقها للانحطاط و شرعية صاعدة.

4ـ البراديغم الجديد يقترب بشكل أكبر من الحقيقة ومن ظواهر وأسئلة مطروحة، أكثر من البراديغم الذي قبله. فهذا الأخير تم تركه، أما الجديد فتتم مأسسته. هنا تغلق دائرة الثورة العلمية، ولكن هذه الدائرة يمكن أن تعود من جديد.

إن تقسيم "توماس كوهان" له أهميته الكبيرة،فقد استطاع تحقيق المصالحة بين مقاربتين للمعرفة العلمية كانتا في حالة من الصراع حتى انجاز كتابه : النموذج القائم على أساس دائري و البراديغم. ويمكن عمليا تطبيق هذا النموذج على الفكر الإستراتيجي المعاصر.أيضا يمكننا الاستناد على الثورة العلمية التي غيرت العالم،وذلك بإدخال في مجال الفكر الإستراتيجي،لاسيما الثورة ما بين سنوات 1945 و1970.

ـ هل من تغير في مقاربة الإستراتيجية ؟

يعتبر الكثير من الكتاب أن المسائل العسكرية هي وحيدة،بمعنى أنها تختلف بشكل كبير عن الفعاليات المدنية.و الإستراتيجية امتلكت قضايا ومجالات عسكرية منها التاريخ العسكري والجغرافية العسكرية. وفي الواقع،كان للإستراتيجية خصوصية تختلف عن غيرها،فالعسكريون أنفسهم الذين كتبوا في المجال الإستراتيجي امتلكوا بدورهم شبكة من المعلومات والقواعد التعليمية ودور النشر التابعة لهم. هذه الخصوصية وصلت إلى مجموعة من المفاهيم الإستراتيجية و التي تنتمي وفق الكثير من المراقبين إلى نفس الفرضية، أي إلى الفصل الجذري بين مجالي السلام والحرب،السيطرة الكاملة على العسكريين في ميدان العمليات،عدم تدخل العسكريين في الحياة المدنية. وفي فرنسا مثلا، كان العسكريون ممنوعين من التصويت حتى عام 1945.

---

70 ـ انظر، توماس كوهان،" بنية الثورات العلمية"، بالفرنسية،صادر في باريس عن دار نشر Flammarion، 1972.

71 ـ نرجو العودة إلى كتابنا "مدخل إلى الفكر السياسي الغربي"، المتوفر في مكتبة الأكاديمية العربية في كوبنهاجن،وذلك من أجل التوسع بقراءة مفهوم "البراديغم".

هذه المقاربة التقليدية للإستراتيجية انتقدت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية. حيث عرف مفهوم الإستراتيجية تطورا وصل لحد كبير نقله خارج المناخ والبيئة العسكرية.ولم يعد هناك مقاربة خاصة تعتمد فقط على الجانب العسكري،لاسيما بعد استند مفهومها على مناهج،مدارس،وتحليلات قادمة من علوم وأدوات مستخدمة في المجال المدني،وبشكل أساسي الاقتصاد و العلوم السياسية.ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية،لاسيما مع بداية عام 1949، وضع Bernard Brodie روابط بين الإستراتيجية و الاقتصاد واقترح مقاربة الأمن من خلال مصطلحات ومفردات تتعلق بالثروات النادرة[72].

القسم الاول : الإستراتيجية و المنهج الجديد

يعرف معظم المراقبين و المؤرخين للإستراتيجية التقليدية بأنها لم تتبع أو تعتمد على العديد من المناهج والطرق المتنوعة . فدراسات الإستراتيجية ، إلا في بعض الاستثناءات، لم تعتمد على أصول معرفية أو علوم منهجية . فالمفاهيم في الماضي كانت تعتمد على رؤية شخصية ، حيث أن الإستراتيجية كعلم كانت في خدمة الإستراتيجية كفن، بمعنى آخر ضاعت قدرات الباحثين والمنظرين أمام ما يقوم به رجل الميدان أو العمليات العسكرية ، فالهدف لم يكن سوى تحقيق النصر.

هذه العقلية تزعزعت بعد الحرب العالمية الثانية . حيث بدأت تظهر تيارات ومذاهب جديدة عرفت انتشاراً واسعاً وتبناها عدد كبير من الباحثين . وكانت الإستراتيجية في نفس الوقت مدعوة لإدخال الروح النقدية إلى مجالها كما كانت مطالبة بالتواضع وعدم الاستمرار في حصر نفسها بين أيدي قلة قليلة.لقد بدأت الاعتماد على مناهج تحليلية مختلفة من قبل منظريها ، ويمكن القول أنها بدأت دخول الحداثة.

فالمنهج التاريخي لم يعد مستخدماً بعدما توقف استخدام السلاح النووي بعد الحرب الثانية ، والمنهج الواقعي لم يعد كافياً بعدما تبين أن استعمال هذا السلاح لا يمكن فصله عن غايات الإستراتيجية . أما المنهج الجغرافي لم يعد سوى أداة لها منفعة هامشية بعد التقدم التقني والتكنولوجي . المنهج الوحيد المستخدم هو"السيناريوهات". بمعنى آخر وكما يقول "هيرمان كاهان"، **التفكير بغير المفكر فيه** ،أي محاولة تخيّل عمل أو وظيفة عقلانية لأداة يمكن أن تؤدي لردة فعل غير عقلانية.

إذاً السيناريو لا يقترح علينا بأن نأخذ الحقيقة أو الواقع في الحسبان، ولكن أن نتخيل حقيقة أخرى لم توجد بعد. هنا نصل إلا ما يمكن أن نسميه **"الإستراتيجية الافتراضية"**. أيضا أصبحت هناك أداة أخرى تستخدمها الإستراتيجية هي **"الإستراتيجية المتخيلة"**، وقد نتجت عن ـ مبادرة الدفاع الإستراتيجي ـ التي وضعها الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان، وهي في الوقع نظام لم يوجد أو يفكر فيه من قبل أو لم يوجد بعد .

1- هل تغيرت مواضيع الإستراتيجية ؟

[72] - انظر ، Bernard BRODIE، " Strategy as a Science"، من مرجع World Politics، حزيران عام 1949.

اهتمت الإستراتيجية التقليدية بشكل كبير بالعمليات العسكرية (دراسة الحملات،خطط المعارك،التفكير حول الصراع،فن القيادة على الأرض) تاركة كل ما تبقى للسياسة . لكن المفهوم الكلاسيكي الذي يميز بين مجالي الحرب والسلام ترك المكان لنظام جديد في داخله يتواجد المفهومان بشكل مختلط أو مندمج، ويكملان الإستراتيجية التي من الآن فصاعداً لا يمكنها أن تحد نفسها بمجال واحد فقط يتعلق بالحرب، ولا يمكن أن تنغلق على نفسها في الحقل العسكري . فالإستراتيجية العملياتية تمت إزاحتها بقوة من قبل إستراتيجية شاملة تأخذ في الحسبان جميع التطورات والأبعاد الجديدة[73].

2- الإستراتيجية المعاصرة

إن التغيرات التي أصابت الإستراتيجية والتي تحدثنا عنها سابقاً، تم تحليلها وتقييمها من قبل جيش من المنظرين والمحللين . رغم الحضور للكتاب الاستراتيجيين القادمين من المجال العسكري، إلا أن الحدث الجديد كان في الصعود القوي للإستراتيجيين المدنيين مثل Herman Kahn وهو قادم من مجال العلوم، عالما الاجتماع Raymond Aron و Henry Kissinger، المؤرخان Bernard Brodie و Michael Howard، الاقتصادي Thomas schelling والمنظِّر السياسي Edward Luttwak.

[73] ـ انظر ، Herman KAHN، " السيناريوهات والتحولات"، بالفرنسية، صادر في باريس عن دار نشر ، Calmann-Lévy و Liberté de l'esprit، 1966. أيضا ، Béatrice HEUSER، " Nuclear Mentalities ؟ Strategies and Belief Systems in Britain، France and the FRG، لندن ،دار نشر Macmillan، 1998.

في الولايات المتحدة، كان التفكير الإستراتيجي يعاني من ضعف قبل الحرب العالمية الثانية . مع بداية هذه الحرب بدأ الحراك الإستراتيجي الأمريكي عندما بدأ العديد من المدنيين بالارتباط بهيئة الأركان العسكرية الأمريكية ، وقد تطورت هذه الظاهرة بشكل كبير مع نهاية الأربعينات وبعد تأسيس Rand Corporation من قبل القوى الجوية الأمريكية ، وقد كان هدفها تحليل التغيرات الجديدة التي أدخل على الجيوش الحديثة. وعملياً يمكن القول أن جميع الأسماء الكبيرة في الفكر الإستراتيجي الأميركي، باستثناء هنري كيسنجر، مرّت عبر Rand Corporation. العمر الذهبي للمحللين الإستراتيجيين الأمريكيين بدأ مع سنوات الستينات ومع وصول " روبرت مكنمارا" إلى منصب وزير الدفاع ، والذي كان مؤمناً بدور تحديث التخطيط العسكري من خلال تطبيق طرق في الإدارة الصناعية . قام "مكنمارا" بدعوة المحللين المتخصصين بشؤون الدفاع من أجل شغل المناصب في إدارة وزارة الدفاع الأمريكية.

تدعم وتطور الفكر الإستراتيجي الأميركي من خلال المبادلات التي حصلت بين الجامعات و المؤسسات البحثية الكبرى العامة مثل : (Institute of Defense Analysis، Centre of Naval Analysis، Congressional Research Service)، أو المؤسسات البحثية الخاصة مثل : (Rand Corporation، Brookings Institute، American Entreprise Institute).أما الطرف الآخر في المبادلة كانت الإدارة الأمريكية ، هؤلاء بمجموعهم شكلوا "مجتمعا" إستراتيجياً حقيقياً لا يوجد له مثيل في العالم.

في بريطانيا ، استطاعت هذه الدولة أن تقدم العديد من المنظرين الإستراتيجيين الكبار،وقد كان في طليعتهم الفيزيائي P.M.S Blackett والذي كان من أوائل المتحدثين عن دور السلاح النووي في التخطيط الإستراتيجي[74]، ثم Basil Liddell Hart والذي وضّح العديد من المفاهيم في سنوات الخمسينات ،لاسيما من خلال التمييز بين مصطلحات كثيرة تتعلق بالشؤون الدفاعية[75].

---

[74] ـ من أهم مؤلفاته : " النتائج السياسية و العسكرية للطاقة النووية"،كتاب صادر في عام 1949.

[75] ـ من مؤلفاته، B. H. Liddell Hart, *A Greater Than Napoleon: Scipio Africanus* (W Blackwood and Sons, Londres, 1926; Biblio and Tannen, New York, 1976)، *The decisive wars of history* (1929) (première partie *Strategy: the indirect approach*)، *A History of the World War(1914-1918)*، *Sherman: Soldier, Realist,*

في الواقع ، وفيما يتعلق بالفكر الإستراتيجي البريطاني، هناك من يعتقد بأن بريطانيا وبسبب عمق علاقاتها وارتباطها بالولايات المتحدة لم تستطع أن تضع إستراتيجيات مستقلة خاصة بها، وقد انعكس هذا بدوره على الفكر الإستراتيجي البريطاني.

على صعيد الدولة الألمانية ، نستطيع أن نرى وبوضوح اختفاء هذه الدولة من المسرح الإستراتيجي العالمي بعد الفشل الكبير وفقدان الشرعية للمؤسسات العسكرية الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية.أم أهم مشاركاتها في هذا المضمار فكانت عبر بعض الكتاب المدنيين مثل Wolf Schneider ، Erik Grawert-May، Panaiotis Kondylis و Gunter Maschke.

في فرنسا، لم يكتب النجاح للأبحاث الإستراتيجية المدنية في أن تتحول إلى مؤسسات دائمة ، ولا في أن يكون لها تأثير فعلي على أرض الواقع . فالمؤسسات البحثية الفرنسية تأثيرها هامشي بسبب ضعف الإمكانيات والوسائل ، ولكن أيضاً لأسباب أكثر قوة وهي تكتم العسكريين فيما يتعلق بالتخطيط العسكري وهيمنتهم على المعلومات والمعطيات التي لا يستطيع أحد سواهم الوصول أليها أو اختراقها . والمركز الوحيد الذي ساهم بتوجيه الإستراتيجية الفرنسية هو مركز "التقييمات و التوجهات المستقبلية"، ويعود في ملكيته إلى وزارة الدفاع . أما الجامعات الفرنسية فلم تعرف "علم الإستراتيجية" كتخصص، فهي تلحقه بالعلوم السياسية والتي لا تعطيه أهمية كبيرة أو عميقة .

The Memoirs of Captain ،*American* (Dodd, Mead and Co, New York, 1929; Frederick A. Praeger, New York, 1960)
Liddell Hart: Volumes I and II (Cassell, Londres, 1965).

3- النظام الإستراتيجي

أ - مفهوم ونظرية النظام الإستراتيجي

وضع عالم الأحياء النمساوي Ludwig von Bertalanffy (1901-1972)، نظريته "النظرية العامة للأنظمة" وذلك في كتابه " General System Theory " [76]، وقد كتب عنها العديد من الأبحاث و المؤلفات[77] . عرفت هذه النظرية في البداية داخل أوساط العلوم البيولوجية ثم انتقلت إلى العلوم الأخرى، لاسيما العلوم الاجتماعية ، وبشكل خاص في العلوم السياسية من خلال David Eston [78]. كما أن هذه النظرية عرفت طريقاً لها إلى العلاقات الدولية بواسطة Morton Kaplan و Karl Deutsch في الولايات المتحدة ، و Marcel Merle في فرنسا [79]. لكن هذه النظرية لم تعرف امتداداً لها نحو النظرية الإستراتيجية، باستثناء محاولة جادة قام بها ضابط بحري أرجنتيني هو Pablo Oscar Mazzoni، وفي وقت متأخر على يد الجنرال Warden في كتابه "العدو كنظام" . مع ذلك ، النظرية العامة للأنظمة استطاعت الدخول إلى الإستراتيجية لتبين كم أصبح هذا العلم معقداً في العصر الحديث.

قدم Ludwig von Bertalanffy في عام 1937 مفهوم "النظام المفتوح"، ثم قام بتطويره شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى "النظرية العامة للأنظمة". يقول العالم النمساوي في كتابه :"هدف هذه النظرية هو الوصول إلى مبادئ موضحة للكون أو العالم الذي نعتبره كنظام ، وبمساعدة هذه المبادئ يمكننا تصميم أو "نمذجة"(من نموذج) الحقيقة"، ويتابع قائلاً :" يوجد أنظمة في كل مكان". ولكن ما هو النظام أو ما مفهومه بشكل عام ؟ إن الشهرة التي يتمتع بها هذا المصطلح يجب ألا تضعنا في موقف مفهومي غامض، حيث الكثير من علماء السياسة تحدثوا عن الأنظمة السياسية Système، في الوقت الذي تحدثوا فيه مسبقاً عن النظام السياسي بمعنى régime ، وذلك من غير تغيرات جوهرية بالمعنى القانوني أو الوصفي . النظام système هو مفهوم عصري نستخدمه مع محتوى أشمل و أعم . ويعرف الإبستمولوجي Paul Weiss النظام :" هو كل ما يملك التجانس بشكل كافٍ وذلك من أجل أن يستحق الاسم". مع ذلك نقول بأن نظرية الأنظمة هي أكثر تعقيداً بكثير.

النظام عند Ludwig von Bertalanffy هو :"كلّ منظمٌ والذي فيه جميع العناصر في علاقة قوية ويمتلك تنظيماً داخلياً. إنه ينبثق في بيئة فيها الإجبار والقسر ويستقبل المطالبات ، ثم يتصرف منتجاً القرارات . أيضاً هناك تياراً من التبادلات المستمرة تقام بين النظام وبيئته ، مع آلية من مفعول رجعي يضمن استقراره". (من كتابه المشار أليه سابقا). هناك العديد من الانتقادات و الأفكار الإيديولوجية وجهت الاتهامات إلى منظري التيار الذي ينظر "للنظام" Système، منها أنه نقل عملية الصراع وحاول ترقية أو إعلاء نموذج اجتماعي نظري واحد ومتفرد من اجل شرعنة الفكر المحافظ.

إن "النظرية العامة للأنظمة" يمكنها أن تسمح بإقامة نماذج إستراتيجية تأخذ بالحسبان تداخل الإستراتيجيات في العصر الحديث، وتُوضّح كيف يستطيع الفاعلون في هذا الميدان الحفاظ على هامش للمناورة يمكنهم استخدامه .

فالصراع ، هو أكثر مما كان في الماضي، شكلاً من الاتصال و التنظيم . فهذا المفهوم لا يمكن أن يصل إلى تحديد أو حتمية "نظامية" (من نظام) والتي ستصل إلى إنكار كل الخطوات الإستراتيجية، فهذه الأخيرة "الخطوات الإستراتيجية" تبقى وبشكل واسع مؤسسة على مبادرة الفاعل ، سلوكه وتصرفه. عملياً، وبشكل أولي، يمكننا القول أن الخطوة القادمة من نظرية النظام، تتكامل مع الخطوة الإستراتيجية .

ب - نظام إستراتيجي ونظام تقني

---

[76] - Ludwig von Bertalanffy, *General System Theory: Foundations, Development, Applications* (George Braziller, 1976).

[77] - *An Outline of General System Theory*, British Journal for the Philosophy of Science 1, p.139-164 ؛*General system theory - A new approach to unity of science* (Symposium), Human Biology, Dec 1951, Vol. 23, p. 303-361.

[78] - انظر كتاب، دافيد إستون، " تحليل النظام السياسي"، بالفرنسية (Analyse du système politique)،باريس،دار نشر Armand Colin،1974.

[79] - Marcel Merle, « Sociologie des relations internationales »,Paris, Dalloz, 1977.

هناك أهمية وفائدة جوهرية للتحليل النظامي أو "النسقي" وهي الإصرار على الشمولية وعلى العلاقات الدائمة بين العناصر التي تؤلف النظام . هذه المقاربة هي بشكل خاص تم تبنيها من أجل البنى المعقدة التي لا تختزل في فئة واحدة من العناصر أو الظواهر. والإستراتيجية عرفت بشكل دقيق، في الحياة المعاصرة، تطوراً نحو تعقيدات متنامية تجعلها تختلف أكثر فأكثر عن جميع النماذج الإستراتيجية التي وجدت في الماضي . ويمكننا التعرف على أهمية هذا التطور من خلال إجراء مقاربة مع مفهوم مركزي لتحليل المجتمعات المعاصرة وهو " التقني". في عام 1977 قام Jacques Ellul بتطبيق التحليل النظامي او النسقي على التحليل التقني، ورأى أن الصفات التي نعطيها للنظام التقني هي متحولة أو متنقلة من غير خضوعها لتغييرات، ويمكن انتقالها إلى النظام الإستراتيجي.

ووفق Jacques Ellul هناك تماثل حقيقي وواضح يبدأ مع تعريف قاعدة المفهوم. فالتقني بالنسبة له "هو الانشغال المسبق بالبحث في جميع الأشياء عن المنهج الأكثر فعَّالية". يميز Jacques Ellul ثماني صفات للظاهرة التقنية :

1- الاستقلالية : يعني أن التقني لا يتبع إلا نفسه، يخط طريقه لوحده، إنه عامل أساسي وجوهري ولا يمكن أن يكون في المرتبة الثانية ، ويجب أن يعتبر جهازاً قائماً بحد ذاته ، قادر على حكم نفسه، إنه هدف بحد ذاته[80]. هنا يمكننا أن نلاحظ تحليلاً يتعلق بالإستراتيجية إنه البحث عن عقلانية تعتمد، في أقل تقدير، الغايات السياسية . فالإستراتيجية تمحور قواعدها الخاصة وتبحث للعمل داخل نظام مغلق. وهنا نرى انحرافاً معيناً، رفضه Clausewitz بقوة والذي يحمل الوسائل إلى غايات ما، وبالتالي الحرب بهدف سياسي، ولكن في العموم هذا اتجاه يمكن أن نجده في جميع العصور وضمن مختلف الفعاليات الإنسانية، وخاصة عندما يكون هناك خوف قادم من الخارج[81].

2- الوحدة: حيث التقنيات مرتبطة بعضها ببعض بشكل لا يمكن يوجد احدها من غير الآخر أو بواسطته، وهي تابعة لبعضها البعض. وتجزؤ الإستراتيجية المعاصرة سيذهب في نفس السياق و المعنى. حيث تم الانتقال من إستراتيجية الردع إلى إستراتيجية الفعل، من الإستراتيجية النووية إلى الحرب الثورية و ثم التدميرية. كل هذه العناصر و المركبات مرتبطة ببعضها. ومن الأفكار القوية للإستراتيجية النووية بعد التردد، هي أن الذرة لا يمكنها أن تكون إلا في خدمة حماية المصالح الحيوية . الإستراتيجية المعاصرة يتم فهمها وإدراكها "ككل" مع تفرعات أخرى ، و "كنظام" مؤلف من تعدد آخر يأتي تحت النظام وهو متشابك متداخل.

3- الشمولية والعمومية : النظام التقني يمتد إلى جميع المجالات، حيث يوجد في البداية شمولية تتعلق بالبيئة ومناخ العمل والفعاليات الإنسانية . ثم يوجد شمولية جغرافية ، فالنظام التقني يشمل جميع البلدان[82]. هاتان الصفتان توجدان في الإستراتيجية المعاصرة . إن شمولية أو عمومية المجالات هي حقيقة واقعية لأن الإستراتيجية كما رأينا سابقاً انتقلت من فضائها العسكري أو الحربي لكي يتم تطبيقها في مختلف الحقول والميادين، إذاً لا يمكن وضع حد لها في المجال الحربي، بل يتم وضعها بشكل كامل وشامل لجميع الشؤون ومن بينها العسكرية ، كما الاقتصادية والثقافية..الخ.

4- الجمع أو "التجميع" : يمكننا أن ندرس ظاهرة تقنية والتي بشكل عام لا يوجد دراسة أخرى خاصة تلقي الضوء على هذا الجانب فيها أو ذاك . فالجمع هو الوجه الآخر للتخصيص[83].

---

80 - Jacques Ellul، " النظام التقني"،بالفرنسية،صادر في باريس، دار نشر Calmann-Lévy, Liberté de l'esprit،1977، الصفحة 137 وما بعد.

81 - المرجع السابق ، الصفحة 138.

82 - المرجع السابق،الصفحة 186.

83 - المرجع السابق، الصفحة 219 - 220.

5- النمو الذاتي : الدارس للنظام التقني يراه يتطور بشكل ذاتي أو من خلال قوة داخلية ومن غير تدخل كبير أو حاسم من الخارج أراد ذلك أم لم يرد[84]. ففي الإستراتيجية هذه الصفة تتجسد في الثنائي او المركب العسكري/الصناعي . حيث أن الباحثين، المصنعين للأسلحة ورؤساء الأركان محاصرين بالخوف متى يتم تجاوزهم أو تخطيهم ، وذلك بسبب السباق في التطوير الذي يؤدي في النهاية إلى تطور ذاتي داخلي في قلب الإستراتيجية .

6- الآلية أو التلقائية : ففي كل حالة أو وضع جديد، وفي كل ميدان أو حقل جديد، التقنيون يتوافقون في النتائج وفي شكل مستقل عن القرار الخارجي . فالآلية لا تتخلى أو تتنازل في بداية الاختيار، بل تعمل على الاختيار من بين كل الاختيارات التي وضعت، بمعنى تختار ما هو متوافق مع الإستراتيجية وما هو غير متوافق[85]. في الواقعة هذه التلقائية أو الآلية تصل وتبلغ النموذج العلمي .

7- التقدم السببي و غياب الغاية: إن التقني لا يتطور ضمن مفهوم الوصول إلى غايات يريد متابعتها، ولكن ضمن إمكانيات للتطور موجودة بشكل مسبق[86]. ففي العصر النووي، الترسانة النووية يمكن فهمها ضمن رؤية تقنية مفتوحة على البحث، أكثر من رؤيتها موجودة لغايات سياسية أو تتعلق بالخصم أو المنافس. والمشروع الذي وضعه الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان حول "مبادرة الدفاع الإستراتيجي" كان له غايات سياسية ، ولكنه لم يوجد على أرض الواقع إلا بعد مشروع عملاق ، وبعد أبحاث ليس لها أهداف سياسية محددة أو نوعية.

8- السرعة : لقد عرف النظام الإستراتيجي سرعة كبيرة لم يشهدها من قبل منذ عام 1945، ليس فقط في الجوانب التقنية ، بل أيضاً في أبعاده السياسية . ربما أصابه التباطؤ بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ولكن فقط ضمن المجال العلمي. أما ظهور وتتعد الأزمات المحلية والإقليمية فربما أو ستؤدي إلى ظهور اقتراحات جديدة تقود بدورها إلى تسارع جديد في السنوات القادمة.

ج - شمولية النظام

تحدثنا سابقاً أن التغيرات و التحولات البنيوية التي أحدثتها التطورات المعقدة في جميع مستويات الإستراتيجية، جعلت من غير الممكن أن يكتفي أي جزء من النظام بنفسه أو أن يوضع في التنفيذ كجزء يعمل لوحده ، بل لا بد أن يعمل كمركب من اجزاء متكاملة .

- على الصعيد التقني: يتم الحديث اليوم بشكل أكبر عن نظام الأسلحة . أيام الأسلحة الكلاسيكية كان استخدامها بسيط ، بمعنى ان نحدد نقطة ما ويتم الإطلاق عليها ، مع الأسلحة الحديثة نحن بحاجة لبيئة فيها الكثير من الحسابات المعقدة والمتعقلة، من غير ذلك لا نستطيع استخدام هذه الأسلحة . فالصواريخ مثلاً لا يمكن برمجتها قبل إطلاقها. إن استخدام الأسلحة الحديثة يترافق مع عناصر أخرى تعتمد على المعلومات، الاتصالات، القرار و أشياء أخرى.

فالمعلومات ليست هي نفسها كما كانت في الماضي، تقدمها مجموعة من المخبرين وتراقَب من قبل الأجهزة والمؤسسات العسكرية ثم توجه لقلة من المقررين . فالمعلومات اليوم مطلوبة في جميع الميادين وتقوم فيها وفي معظم الأحيان وكالات متخصصة تخضع لسلطة مدنية ، مع وسائل بالغة التقدم والتعقيد، تكنولوجية وإنسانية . ثم توزع بطرق غامضة بسرعة كبيرة وعلى جميع المستويات المدنية والعسكرية وغيرها، وذلك من أجل الوصول وضمان تحقيق بيئة إستراتيجية متكاملة تستطيع التحرك بأفضل وأحسن حال أو شكل[87].

أما الاتصالات فهي مضمونة من خلال مجموعة من الوسائل السريعة و الفعالة،ولكن يمكن تعطيلها بشكل سريع أيضا.من هنا جاء التطور الكبير في وسائل الحماية و السرية. والصراع حول أنظمة الاتصالات عرف تطورا ضخماً خلال الحرب العالمية الثانية. فيما يتعلق بالقرار، فقد أصبح من الواجب السيطرة على معطيات كثيرة ومختلفة في هذا الشأن، كما أن السلطة المدنية لم تعد تسمح للسلطة العسكرية بالحرية المطلقة في اختيار الوسائل والطرق.

---

84 - المرجع السابق، الصفحة 229.
85 - المرجع السابق، الصفحة 253.
86 - المرجع السابق، الصفحة 280.
87 - انظر ، Paul BRACKEN، "The Command and Control of Nuclear Forces"، صادر عن New Haven-London, Yale University Press، 1983، الصفحة 21.

أصبحت وسائل المساندة الدائمة والضخمة تحقق نتائج كبيرة على الصعيد الإستراتيجي، مثل الدعم اللوجستي وغيره، التي تقدم دعماً كبيراً للقوات وتبقى في اتصال معها، وتجعلها قادرة على الحفاظ على مستواها لمدة كبيرة، كما أنها تقوم بترميم كل ما يتعرض للتدمير وبسرعة استثنائية .

ـ على الصعيد الإستراتيجي: النظام الإستراتيجي هو تنظيم جميع القوى التي توضع في العمل وفي خدمة الإستراتيجية العامة، الشاملة أو الوطنية . هذا النظام يتجاوز عمليات الفصل والتمييز المعروفة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وبين الدبلوماسية والإستراتيجية في تعريفها الكلاسيكي، بين المؤسسات وجماعات الضغط ؛ في عملية هندسية معقدة تنقسم إلى فضائين أساسيين، مادي مثل (القوى) وثقافي مثل (المذاهب والتيارات،الثقافة الإستراتيجية)، و معنوي مثل (الانتماء والارتباط بالأمة،ترابط وتعاون النخب الحاكمة)، وهذا ما سماه بعض الإستراتيجيين " المعنوي الإستراتيجي"[88].

هذان الفضاءان يتبعان أو يصيبهما تأثير خاضع للبيئة أو المناخ الذي يوجدان فيه وهو ما نسميه "المدخلات"، ويحاولان التفاعل معه من خلال تثبيت الأهداف الحالية أو الكامنة والتي في النهاية تتعارض مع أهداف العدو أو الخصم . هذه الأهداف متغيرة ومتبدلة حتى يكون لديها استعداد المواجهة مع الظروف والمتغيرات . أما وضعها في التطبيق يتطلب قرارات تصطدم بعمل النظام وسيره مثل (البيروقراطية،الدعم اللوجستي والمساندة،والحالة الفنية والتقنية) هذا الاصطدام يترجم باتخاذ قرارات خاطئة أو بعدم اتخاذ القرار.

هـ ـ في تداخل العلاقة بين العوامل الداخلية و الصراعات الدولية

بالتأكيد هناك قيمة كبيرة للمصلحة التي تحددها العوامل الداخلية للإستراتيجية وللسياسة الخارجية . مع ذلك يجب الابتعاد نهائياً أو تجنب فقدان الرؤية الصحيحة فيما يتعلق بالعامل المركزي أو الأساسي، هذا العامل هو أن الإستراتيجية تفترض دائماً خصماً أو منافساً محدداً . إذاً لا بد من وجود عدو موضوعي أو يمكن الإشارة إليه ومعرفته بطريقة ما، كما كان الاتحاد السوفييتي مثلاً موضع انشغال دائم للولايات المتحدة أو للدول الغربية بشكل عام . تحدث Colin Gray [89] عن وجود طبيعتين لسباق التسلح، هاتان الطبيعتان ناتجتان عن ظاهرة الفعل/ورد الفعل، والتي أصبحت أكثر تعقيداً من خلال تدخل الضغوطات الداخلية .

إن وجود سباق للتسلح يفترض التنافس بين اثنين على الأقل . والأمثلة التاريخية هي كثيرة على هذه الحالة، مثل التنافس البحري بين ألمانيا و إنكلترا في بداية القرن العشرين، التنافس البري بين فرنسا وألمانيا بين عامي 1870-1940، الصراع والتنافس الأمريكي ـ السوفييتي طيلة الحرب الباردة . يمكن أن يبدأ السباق من قبل بلد يريد ردع كل التصرفات العدوانية من خلال إظهار قوته الهجومية والدفاعية ، أو من اجل دعم قوته الدبلوماسية ، وهي عوامل تتعلق هنا بالسياسة الخارجية . وأيضاً يمكن لسباق التسلح أن يبدأ لأنه من الضروري والمفيد عند العديد من الفاعلين والمستفيدين في هذا المضمار . ويمكن أن يكون نتيجة لعملية سياسية ، كما فعل الرئيس جون كنيدي بالحديث عن صاروخ gap أثناء حملته الانتخابية في عام 1960.

Colin Gray يحدد ثمانية عوامل أو تأثيرات داخلية محرضة أو تشترط سباق التسلح، وهي تظهر كحالة إجبارية ناتجة عن تهديدات خارجية، هذه العوامل هي[90] :

ـ الجمود

ـ التقنية

ـ مصالح المقررين

ـ الخوف من أن يسبقك الآخرون

ـ التخطيط

ـ المذهب الإستراتيجي

---

88 ـ نجد هذه التسمية في كتاب الأميرال Castex " النظريات الإستراتيجية"،وهو مرجع سابق مرَّ معنا في بداية الكتاب،وردت التسمية في الجزء الرابع من كتابه في الفصل الثاني عشر.

89 - Colin GRAY , « The Soviet American Arms Race », Lexington, D.C. Heath, 1976; and, “ The Urge to Compete: Rationale for Arms Racing”, World Politics, 1974, P.207.

90 - Colin GRAY, « The Arms Race Phenomenon »,in George H. Quester, ed., American Defense Policy , P. 146-147.

ـ الحكومة وعلاقتها مع الجيش

ـ الموقع الجغرافي

هذا المثال عن التسليح يظهر الطبيعة المزدوجة و المعقدة لسباق التسلح والذي لا يمكن اختزاله إلى فئة واحدة من العوامل . من هنا تأتي فائدة التحليل "النظامي" (من نظام)،والذي يأخذ بالحسبان هذا التراكب (تركيب) imbrication بين العوامل الداخلية و العوامل الخارجية .

القسم الثاني : الاستشراف الإستراتيجي

1- مفهوم ـ الثورة داخل الشؤون العسكرية

إن فكرة النظام بدأت في أخذ مكانها داخل المفردات الإستراتيجية ،لاسيما بعد دخول فكرة الثورة في الشؤون العسكرية . أتت هذه الثورة في الشؤون العسكرية من قبل الولايات المتحدة الأميركية ، وذلك من خلال أدب جديد وغزير تناول هذا المفهوم مع مطلع التسعينات . حاول الكثير من المنظرين البحث عن أصول بعيدة لمفهوم الثورة في الشؤون العسكرية ، حتى أن بعضهم عاد به إلى منتصف القرن التاسع عشر، ولكن هذا المفهوم يبدو انه أحدث من ذلك بكثير. فقد عمد السوفييت إلى تطوير فكرة "الثورة في الأشياء العسكرية"[91] منذ عام 1963، وفي عام 1980 فتحوا حواراً حول "الطرق التكتيكية الجديدة"،حتى أن بعض المعلقين أطلق عليه "الثورة التكتيكية"[92].

إن مصطلح Revolution in Military Affairs (RMA)، ظهر في المفردات الأميركية في التسعينات وذلك بتحريض من مدير Net Assessment Office of Pentagone، وهو Andrew w. Marshall، حيث وقف مع الفكرة القائلة بأن الثورة العميقة التي نتجت عن التجديدات التقنية سيكون لها نتائج مذهبية doctrinales كبيرة . أما (RMA) فقد كان موضوعاً لتقرير سري في عام 1992، ثم تم نشره في السنة التالية . إذاً الحوار حول المصطلح انطلق

---

91 - Jean-Christophe ROMER, « La pensée stratégique russe au XXe siècle, p.47.

92 - Philip A. KARBER, « The Tactical Revolution in Soviet Military Doctrine », Carlisle Barracks, US Army War College, 1983.

وبقوة ، إن كان بين المحللين أو في جميع وحدات الجيش، والتي بدورها وضعت مجموعات متخصصة هدفها الوصول إلى بناء مذهب جديد .

إن الفكرة الأساسية للمفهوم ترتكز على أن الحرب من الآن فصاعداً قد تغيرت بشكل جذري فيما يتعلق بطريقة وآلية العمل، أو بطبيعتها، لاسيما مع قدوم وسائل أخرى جديدة في المراقبة و بناء جيوش لها قدرات كبيرة ودقيقة في نفس الوقت. أما الشجاعة والإرادة الإنسانية فقد وجدت أيضاً من الآن فصاعداً أمام أو في مواجهة التقنية . فالتقنية تحكم في جميع المجالات، إنها تفرض تغيرات مذهبية وعملياتية لها اتساع كبير. وقد تحدث البعض، مثل الأميرال " Owens" عن مفهوم جديد في هذا المضمار وهو "نظام الأنظمة" من أجل الإشارة إلى أنه لا يوجد أي قطاع من السياسة أو الإستراتيجية لم تتدخل هذه التحولات الجديدة .

وقد ظهرت العديد من الكتب لاقت نجاحاً كبيراً في هذا الموضوع ، لاسيما War and Anti War في عام 1993 لمؤلفه Alvin and Heidi Toffler، وقد ترجم بشكل سريع إلى الكثير من اللغات، ترجمة ساهمت في تعميم ونشر فكر أن الحرب هي "كبسة زر".

إن مفهوم "الثورة في الشؤون العسكرية" اتى على مراحل متعددة بشكل مغال فيه ، حتى أصبح البعض يعتقده أكثر أهمية من الثورة التي صاحبت السلاح النووي نفسه . أما المعلومات ستصبح من الآن فصاعداً من المفردات التي تضم بقوة على الإستراتيجية . حيث ستسمح بإبعاد الشك وعدم اليقين من أمام كل من يستخدمها ويسيطر عليها، ستساعد في معرفة ماذا نهاجم ، كيف ومتى . حتى أن المرجع الأميركي المتعلق بالعمليات " FM 100-5" سيضاف إليه ملحقاً تحت اسم " عمليات المعلومات" FM 100-6[93].

[93] - Michael D. Stany and Charles W. Arneson, “FM 100-6: Informations Operations”, Military Review,1996.

هذان المرجعان وضعا في التنفيذ مفاهيم عملياتية جديدة : **المناورة الكبرى** ، والتي تؤسس على القدرة في السيطرة على المعلومات والحركة ؛ **الالتزام الدقيق**، وفيه تحدد الوحدات أهدافها وكيفية الوصول إليها بجهد أقل؛ **الحماية الكاملة**، والتي تضمن الحرية الكاملة في الفعل وتقدر الخسائر ؛ اللوجستيك المدمج، حيث يحدث التوافق من خلاله في تقنيات المعلومات التي تسمح بدورها وسائل نقل تؤدي لردة فعل سريعة في الأزمات وعلى جميع المستويات.

2- في نقد مفهوم وخطاب - الثورة في الشؤون العسكرية

لقد كرّس الحوار حول مفهوم "الثورة في الشؤون العسكرية" نفسه ليقول بضرورة وجود هندسة شاملة و تماسك بين الجوانب التقنية و العملياتية . نتذكر هنا أن مساعد وزير الدفاع الأميركي Edward Warner يعرف الثورة في الشؤون العسكرية كتوافق في تقنيات جديدة ، وتغيرات مذهبية، ثم بتغيرات في البنى. ويضيف أن الكثير من التغيرات هي متطورة عن أشياء سابقة أو عن غيرها، أكثر مما هي تغيرات ثورية[94]، وهذا ما يقود للقول بأن تلك التحولات و التغيرات الجذرية هي غامضة أو مبهمة.

أما البحث عن المعلومات فهو معطى دائم في تاريخ الإستراتيجية ، وعندما نغير كلمة "معلومات" بكلمة أخرى هي "مخابرات" فهذا ليس مبرراً للقول بأن تغيراً جذرياً قد حصل[95]. ويتابع المتشككون في هذه "الثورة" القول أو التساؤل: هل المخابرات أو المعلومات تستطيع بشكل فعلي القضاء على الشك وعدم اليقين، محولة الحرب بذلك إلى لعبة؟ أما جوابهم فهو أن العامل الإنساني يبقى له دور كبير في الموضوع ، بحيث اننا لا نستطيع إعطاء أو توصيف ردة الفعل الإنسانية بشكل ناجز وكامل . وقد كانت الحرب في كوسوفو وحرب الخليج أمثلة جيدة على الاختلاف في وجهات النظر حول "الثورة داخل الشؤون العسكرية"[96].

---

94 - In, Jane’s Defense Weekly, 30 حزيران, 1997, P.32.
95 - Richard J. Harknett, « Information Warfare and Deterrence », ed., Parameters, 1996, P. 93.
96 - Barry D. Watts, « Clausewitzian Friction and Future War », Washington, National Defense University, 1996.

3- ماهية ومعنى خطاب - الثورة في الشؤون العسكرية

الثورة داخل الشؤون العسكرية كانت خطاباً في البداية أكثر مما هي إشارة على متغيرات تقنية، كما كانت في البداية "مبادرة الدفاع الإستراتيجي" التي وضعها الرئيس الأسبق ريغان . ولكن هذه الإثارة و الانتشار النظري كانت نتيجة لمفهوم يحاول الإجابة على منطقين : داخلي وخارجي . "فالثورة" هذه ، كانت عملية من أجل شرعنة بنية وتطوير القوى المسلحة الأميركية . والمقصود هنا أن وزارة الدفاع الأميركية "البنتاغون" قد تبنت التغيرات الكبيرة وفي جميع الميادين والتي تظهر اليوم بشكل كبير أو يتم إنتاجها على جميع المستويات ، أو هي التجديد العسكري نفسه[97]. إن خطاب هذه "الثورة" هو موضوع محرك على صعيد المذاهب العسكرية وخاصة في داخل المؤسسة العسكرية ، وهو فعَّال على الصعيد السياسي في مواجهة محاولات تخفيض أو تقليص الميزانيات العسكرية .

أيضاً خطاب "الثورة" يشكل رسالة هامة يمكن توجيهها إلى الخارج . فالولايات المتحدة تقترح من جديد نموذجاً للعالم بأسره ، فهي تظهر وفي نفس الوقت أنها ما تزال متقدمة على العالم ، وأن المستقبل سيكون ملك الجيوش التي تتطابق مع هذا النموذج ، أي النموذج الأميركي[98]. أما الذين يرفضون هذا التطور الإجباري فهم في نظر أصحاب "الثورة" ليسوا إلا متأخرين عن التطور. ولكن تجربة اللحاق بالولايات المتحدة من قبل الدول العظمى مكلفة جداً وخاصة فيما يتعلق بالتحديث في الشؤون العسكرية.

فمن جهة، محاولة تقليد الولايات المتحدة تعني البقاء تحت خط قوتها، والسبب هو عدم وجود الإمكانيات أو حتى امتلاك مناهج عمل وسير التحديث الأميركي . ومن جهة أخرى، هناك العديد

[97]- في الولايات المتحدة كان هناك إستراتيجية متعارف عليها أو "تقليدية" وضعها Institute for National Strategic Studies،وهي في الواقع تتعارض مع الإستراتيجية أو مع "الثورة داخل الشؤون العسكرية التي نتحدث عنها.

[98] - Jacob W. KIPP, « Confronting the RMA with Russia », Military Review,1997.

من القوى ترى أن الوسائل التقنية المعروضة من قبل مفهوم"الثورة داخل الشؤون العسكرية" ربما تكون مفيدة من اجل وضع أو بناء إستراتيجية ليس في الحقل العسكري فقط ، بل في جميع المجالات . إذاً، وفي قراءتنا لمفهوم أو خطاب "الثورة داخل الشؤون العسكرية" نعرف ما هي التطبيقات العملية التي يستطيع أن يقدمها مفهوم يتصف بأنه مجرد أكثر من مفهوم "النظام" الذي أوردناه سابقاً . "فالثورة" هنا تذكرنا بضرورة فهم وإدراك الإستراتيجية بشكلها الشمولي وليس الجزئي، مهما كانت إستراتيجية تقنية أو تعتمد مذهباً بحد ذاته. أيضاً ، تحليل هذا الخطاب يسمح بمعرفة الخلفية الإيديولوجية للمفاهيم التي تقدم نفسها على أنها مفاهيم تقنية خالصة، وهي في الواقع تضع نفسها في خدمة وجهة نظر سياسية أو مشروع سياسي .

في النهاية، يرى الكثير من الإستراتيجيين أن البعد العسكري ليس إلا عنصر من العناصر الأخرى للإستراتيجية، فاليوم هناك صعود كبير وقوي للبعد الاقتصادي، طبعاً من غير أن ننسى الثورة المعلوماتية التي لا تقل أهمية . إذاً النظرة وحيدة الجانب أو التي تعتمد البعد العسكري فقط هي في نفس الوقت ، نزعة ذاتية أو استعلائية تهدف للرفع من شأن بلد على حساب البلدان الأخرى ، وتتجاهل التعددية الثقافية بين الأمم وتنطلق من موقف قومي يمكن أن نصفه بالتطرف، وهي أيضاً معرفة غير عميقة بطبيعة الإستراتيجية، ومؤسسة على علاقة صراعية conflictuel و على إمكانية تحقيق إقصاء نهائي يصل لدرجة تغيب الخصم من الوجود نهائياً . إن مفهوم البعد الواحد للإستراتيجية ليس بمفهوم جديد فقد تحدث عنه إستراتيجيو الصين لاسيما Sun Zi عندما قال :" الحرب هي ميدان الحياة والموت، إنها الطريق الذي يؤدي للحياة أو للعدم والفناء"[99].

إذا نظرنا بعمق إلى تاريخ التحولات و التغيرات التي استمرت منذ 2500 عام، وبشكل خاص تلك التحولات التي نراها اليوم أمام أعيننا، نستطيع القول إن حكمة هذا الإستراتيجي الصيني بقيت وستكون الأساس أو جوهر كل فكر إستراتيجي .

[99] ـ من كتاب الإستراتيجي الصيني ،صن زي، " فن الحرب"، الصفحة 99.

الفصل السادس

الاستراتيجية والتكتيك والخطط والعلاقات الدولية

تختلف الإستراتيجية عن التكتيك والتخطيط ، والعلاقات الدولية .

القسم الاول : التكتيك والاستراتيجية

التكتيك والاستراتيجية مصطلحان سياسيان وعسكريان، فالتكتيك هو اسلوب واشكال ومناهج النضال لأي تنظيم سياسي لتحقيق مهام معينة في لحظة محددة..

يقول ليدل هارت : أن الأستراتيجية هي فن توزيع وأستخدام مختلف الوسائل لتحقيق هدف السياسة . كذلك يمكن القول أنها فن حوار الأرادات التي تسخدم فيها القوة لحل الخلافات . " الأستراتيجية هنا تعني تمييزاً لابد منه : الخطة العامة لحملة كاملة والتكتيك الطريقة لتنفيذ تلك الحملة المعنية" .

لذا فأن التمييز بينهما أي الستراتيجي عن التكتيك كون الاول يحدد الخط العام أو الأتجاه العام للكفاح وتحديد الوسائل والأشكال التي تلائم الوضع وتساعد على تحقيق الأهداف الأستراتيجية ومن هذا يتبين أن الستراتيجي مفتوح الزمن والتكتيك محدود الزمن وينبغي أن يخدم الاستراتيجي وهو أحد أدوات نجاحة.

فالتكتيك السياسي لا يختلف عن التكتيك العسكري حاله حال الاستراتيجية، حيث ان التكتيك بحد ذاته جزء من الاستراتيجية ومرحلة من مراحلها وانه ينبع منها ويهدف الى تحقيق عملياتها الجزئية في خدمة الهدف الاستراتيجي العام.. التكتيك يتعلق اساساً باساليب النضال واشكاله ومناهجه ووسائله المختلفة، ولهذا فان شكل الحركة وطبيعتها وتوقيتها عناصر اساسية في كل تكتيك ولهذا نجد في التكتيك مصطلحات ومفاهيم مثل المبادرة والمباغتة، كما نجد نظريات متعددة للاشتباك واشكالا متنوعة للهجوم والانسحاب، واساليب مختلفة لاستعمال الاسلحة. فحرب العصابات مثلا هي شكل تكتيكي من اشكال النضال السياسي لتحقيق اهداف الخطة الاستراتيجية في حرب التحرر الوطني من الاستعمار الاجنبي، وقد تكون حرب العصابات مرحلة داخل حرب ثورية شاملة للتحرر الوطني، وقد تكون طابعاً شاملاً لهذه الحرب .

مما تقدم لا يمكن الحديث " عن الأستراتيجية دون تحليل للعوامل الموضوعية كونها لا تخضع لوصفة جاهزة ـ بل الواقع العملي هو الضرورة الاولى " . لقد أعطى البعض للواقع أي الارضية ومجمل التفاعلات السياسية ، والدولية ، والأقليمية أي الجانب الموضوعي ثم مستوى الوعي لدى الجماهير وقدرتها على أستيعاب مايطرح لها من أهداف ومواءمة ذلك مع مزاجها وحسها الأهمية الاولى في التحشيد وصولاً الى الهدف ... ولكن قبل كل شيء علينا دراسة المبادئ الاساسية للحرب جيداً في كل فعل ، وهناك أمثلة كثيرة في التاريخ يمكن الاعتبار بها . ففي باريس كان فشل التكتيكات سبباً رئيسياً في أنتكاسة الثورة الجماهيرية الاولى في التاريخ بمعانيها وأفكارها وهذا راجع الى كونها أستخفت بالمباديء الاساسية لأشكال النضال المسلح وقدرتها على دراسة التنظيم وتموين المقاومة " وبدل أن تتوج أنتصارها الباريسي بهجوم صاعق ضد فرساي" (ص154 ـ لينين والعلم العسكري) . خسرت المعركة وأصبحت أشلاءً بعد أن كان بأمكانها أن تتسيد الموقف، حصل أن أنقلب كل شيء ، مما أدى الى حدوث حمام دم أطاح بكل أحلام الثوار . أيضاً نحن نعلم أن التاريخ تجربة يمكن تفادي أخطائها إذا أحسن دراستها وقراءتها واستخلاص القوانين الخاصة بها دون أسقاطها بل ما نعنيه هو تمثل تلك التجربة مع الأخذ الجاد بالقوانين الموضوعية للزمن ... نحن نعرف أن الحرب الأهلية في الاتحاد السوفياتي سابقاً هي حرب تكتيكات متعددة وذكية من قبل القيادة الشيوعية المتمثلة بـ "لينين " لكل أطراف الصراع وكانت التهيئة لها على أعلى المستويات ، فالقيادة الجيدة لأدارة الصراع تمكنت من نقل المعركة الى عقر دار الخصم وتعريته وجعله مكشوفاً أيديولوجياً . ما أظهر عيوبه فالحرب هنا ليس فقط بما نملكه من سلاح بل الأهم فيها هو عامل الايمان بالقضية وهذا يجعل من العتاد والآلة قوة هائلة لتحقيق النصر ..

في التجربتين كان الهدف الستراتيجي واضحاً ولكن أختلفت التكتيكات ، وهذا يدعونا للتساؤل ، هل خطأ التكتيك يؤدي الى ضياع الهدف ؟

التكتيك يخضع لعوامل وظروف ، في حالات عدة يكون القائد فيها مضطراً الى التعديل لضرورة تمليها عليه الوقائع وكما قلنا سابقاً فأن الستراتيجي يعني الهدف دائماً دون تحديد في

زمنه بل يخضع لعوامل موضوعية مرتبطة بهدف أو أهداف موجودة ومفرزة عكس التكتيك الذي يمكن استبداله أو تغييره حتى أثناء المعركة وهذا يعني أختيار الأسلوب الذي يتلاءم وطبيعة العوامل ومتغيرات الحالة لتحقيق النصر أو الوصول الى الهدف . " يناور البارع في التكتيك الحربي عدوه كما تلعب القطة مع الفأر . أظهر له أنك ضعيف ومشلول الحركة ثم أنقض عليه بهجوم مباغت " (صن تزو ـ فن الحرب ـ المبحث الاول) . يجب أن تكون التكتيكات على جانب كبير من السرية والكتمان ، لتكون مؤثرة وذات تأثير نفسي ينعكس على معنويات الخصم لزعزعة ثقته بنفسه وكما هو معروف فأن تحطيم معنويات العدو وشلها يعني كسب المعركة بلا خسائر . فالتحسب والأعداد يؤدي الى النصر وليس العكس . كذلك يجب أن تكون قراءتك لعدوك صحيحة ، ومعرفة كيف يفكر... " يفوز في المعارك من لا يرتكب أخطاء " . [صن تزو ـ المبحث الرابع ـ فن الحرب] . ذلك صحيح ويمكن القول أيضاً : يفوز بالمعركة من يرتكب أقل الاخطاء.

"طور بأستمرار ومثابرة التكيتك غير المباشر بأنقضاضك " [صن تزو ـ المبث الخامس ـ فن الحرب] على العدو لإيهامه أو أعطائه فكرة تريد أيصالها تخدم أهدافك . "إذا طبقت التكتيكات غير المباشرة بكفاءة فهي كالسماء والارض لا تنضب ولا تنفد ، دائمة كجريان المياه في الانهار والجداول وإذا ماانتهت فهي كالشمس والقمر تبدأ من جديد وكالفصول إذا ماأنقضت عادت ثانية " [صن تزو ـ المبحث ـ الخامس ـ فن الحرب].

علينا كذلك ان لا ننسى أن الحرب خدعة وبعض الاحيان في القتال ولكن قبل كل شيء هناك مسالك وطرق كثيرة في الزمن عليك حسابها وسلوكها لذا فأن من الواجب الحذر دائماً فالعدو ليس كما تتصور لا يفعل شيئاً، فكما أنت تعمل بجدّ كذلك هو يريد النصر وسحق الأخر ولكن الأختلاف سيكون في القراءة الواقعية لمعطى الحالة وهنا تبرز وبشكل جلي قدرة القائد . أن اللحظات الحرجة توجب الهدوء وعدم الانجرار والأستفزاز لما يريد العدو ، المهم صفاء الذهن وعدم الاندفاع البسيط للأشتباك مع العدو في معركة خاسرة .

وكما أن القائد الذي يجيد فهم التكتيك وتنوعاته يعرف كيف يتعامل مع مقاتليه والظرف الذي هو فيه . وإذا رغبنا في النصر علينا أن نركز التفكير عليه فقط وأن نتذكر أن العدو بأستطاعته أن يصيبنا بأذى ، لا يمكن تجاهله أو الاستخفاف به وأنطلاقاً من هذا فأن خططنا في تطبيقها يجب أن تضع العدو وقدراته في المرتبة الاولى من البحث.

ولعل اخطر مسألتين في التكتيك هي الحلقة الرئيسية في التكتيك والتوقيت للعملية.. فالحلقة الرئيسية هي تلك الحلقة في سلسلة العمليات والمواقع التي ان امكن السيطرة عليها لسهلت السيطرة على بقية العمليات والمواقع اي تكون بمثابة مفتاح الحل، كأن تكون هذه الحلقة في التكتيك العسكري السيطرة على ممر بري او مائي او غيرها من المواقع ذات الاهمية، حيث السيطرة عليها يفتح الطريق الى نصر حاسم على العدو في المواقع الاخرى. وفي العمل السياسي قد تكون الحلقة الرئيسية في التكتيك مثلاً السيطرة على التجارة الخارجية او السيطرة على الصناعات النفطية او اية صناعات اخرى تشكل العمود الفقري للاقتصاد الوطني حيث ان السيطرة على هذه الحلقة من الاقتصادي تؤدي بالنتيجة السيطرة وتوجيه الاقتصاد الوطني وحمايته .. ما يخص المسألة الثانية من عناصر التكتيك اي التوقيت فهو اختيار اللحظة المناسبة للقيام بالمهمة، حيث ان اي تقديم او تأخير في التنفيذ قد يكون ذلك سببا في فشل العملية برمتها مهما توافرت لها الظروف المادية والنفسية، ولهذا فالتوقيت السليم عامل حاسم في نجاح اي تكتيك وبالتالي نجاح الاستراتيجية . عليه فالتكتيك هو جزء من اجزاء الاستراتيجية والذي يحقق مرحلة من مراحلها ويخضع لاهدافها ولا يتناقض مع مسارها العام . هكذا نجد ان العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك في العمل السياسي مهما كانت طبيعة هذا العمل هي علاقة جدلية لا انفصام فيها وان احدهما يكمل الاخر، ولكن هناك فرق بينهما يظهر كما يلي :

- الإستراتيجية هي الإلتزام بالخطة ، اما التكتيك هو تكييف الخطة حسب الموقف

- الإستراتيجية هي الخطة الشاملة للوصول الى الهدف النهائي في حين أن التكتيك هو خطة جزئية لتحقيق هدف جزئي.
- الإستراتيجية طويلة و بطيئة و بعيدة المدى في حال أن التكتيك هو ردة فعل و قصير المدى .
- توضع الإستراتيجية لنتائج مستقبلية في حين أن التكتيك لنتائج حالية .
- الإستراتيجية تقوم على التخطيط و التفكير المنطقي في حال التكتيك يقوم أكثر على الإبداع .

كان الألمان يلحقون خسائر فادحة بقوات الحلفاء في بداية الحرب ، وذلك بسبب حنكة القادة الميدانين التكتيكيين الذي كانو يتكيفون مع مجريات المعارك بسرعة، و لكن في النهاية خسرت ألمانيا الحرب و ذلك لعدم وجود إسترتيجية شاملة من القيادة العليا التي زجتها بالنهاية بحرب مع الإتحاد السوفيتي الذي أنهك القوات الألمانية و كان السبب في خسارتها للحرب.

الخلاصة... بالتكتيك تربح معركة و بالإستراتيجية تربح الحرب!

القسم الثاني : الاستراتيجية والتخطيط

التخطيط إجمالاً هو وسيلة لادارة الموارد وآلية للتنسيق بين القرارات أو التصرفات التي تتخذها جهات أو وحدات في مختلف مستويات صنع القرار (الحكومة، ادارة منشأة...)

يقوم التخطيط ببيان الطرق البديلة واختيار البديل الأفضل الممكن استخدامه لتحقيق الأهداف .

في تخطيط التنمية يتفاعل التخطيط والسوق، كل وفق مزاياه، وبمزيج يختلف من دولة إلى أخرى، من أجل تخصيص الموارد وارسال الاشارات وتصحيح الانحرافات.

في تخطيط التعليم فالطرف الأساس هو الدولة التي تقدم مؤشرات لكل من السوق والعائلات وتستجيب لحاجاتهما.

يمكن تقسيم التخطيط من النواحي التالية :

- درجة الشمول
- الالزامية
- التغيرات المستهدفة

- المتغيرات موضوع التخطيط

- المدى الزمنى

ان الفرق بين التخطيط والتخطيط الاستراتيجي يبدو كما هو موضح في الجدول التالي :

التخطيط	**التخطيط الاستراتيجي**
- هو إمتداد للماضي باستخدام بياناته لمعرفة ما يجب أن يكون في المستقبل استناداً على التنبؤ .	- هو ضرب من ضروب إختراق حُجُب المستقبل والغوص في عمقه لتحديد شكل المنظمةا او الدولة .
- يعمل على تحديد حجم النشاط في المستقبل .	- يعمل على تغيير نوعية النشاط وشكله بالإضافة إلى حجمه (أي تصور شكل المنظمة او الدولة في المستقبل)
- يعتمد على تطبيق الأساليب الكمية في التنفيذ.	- يعتمد على التحليل والبحث عن الأفكار والابتكار والإبداع والتعمق في شخصية المنظمة او الدولة.

المصطلح العلمي :

1- أسلوب التحرك لمواجهة التهديدات أو الفرص البيئية ، مع الأخذ في الحسبان نقاط الضعف والقوة الداخلية للمشروع سعياً لتحقيق رسالة وأهداف المشروع . (**التخطيط الاستراتيجي**) .

2- نظام خاص بتصميم كافة أنواع الخطط بدءاً بالخطة الاستراتيجية الكلية مروراً بالخطة الاستراتيجية الوظيفية ثم الخطة الاستراتيجية التنفيذية . مستنداً على دراسة البيئة المحيطة بالمنظمة وتحديد رسالة ورؤية المنظمة . (**التخطيط الاستراتيجي**)

3- يعد ضرباً من ضروب اختراق حجب المستقبل والغوص في عمق المستقبل لتحديد شكل المنظمة (**التخطيط الاستراتيجي**)

4- النظام الإداري لتصميم وتنفيذ والرقابة على الرسالة والرؤية والأهداف والاستراتيجية . (**الإدارة الاستراتيجية**)

5- تفكير منطقي منظم يجب أن يعبر من مفهوم لآخر حتى تتكامل عملية التخطيط تحقيقاً لأهداف المنظمة ورؤيتها ورسالتها . (**الإدارة الاستراتيجية**)

6- أسلوب المنظمة في تحقيق الميزات التنافسية من خلال مواجهة التهديدات والفرص ونقاط القوة والضعف . وذلك لتحقيق أهداف المنظمة ورسالتها ورؤيتها . (**الاستراتيجية**)

7- يعني تحديد الأهداف (أي ما يجب عمله في المستقبل) وطرق تحقيقها (أي أسلوب التنفيذ) . (**التخطيط**)

8- هو إمتداد للماضي باستخدام بياناته لمعرفة ما يجب أن يكون في المستقبل.(**التخطيط**)

9- يعني تقدير قيمة العناصر المؤثرة في مستقبل المنظمة . استناداً على مبادئ علمية أهمها أن المستقبل هو امتداد طبيعي للماضي والحاضر . (**التنبؤ)**

10- القرارات الإدارية التي تستند على وجود (أو تبنى على شكل) استراتيجية. (**القرارات الاستراتيجية**) .

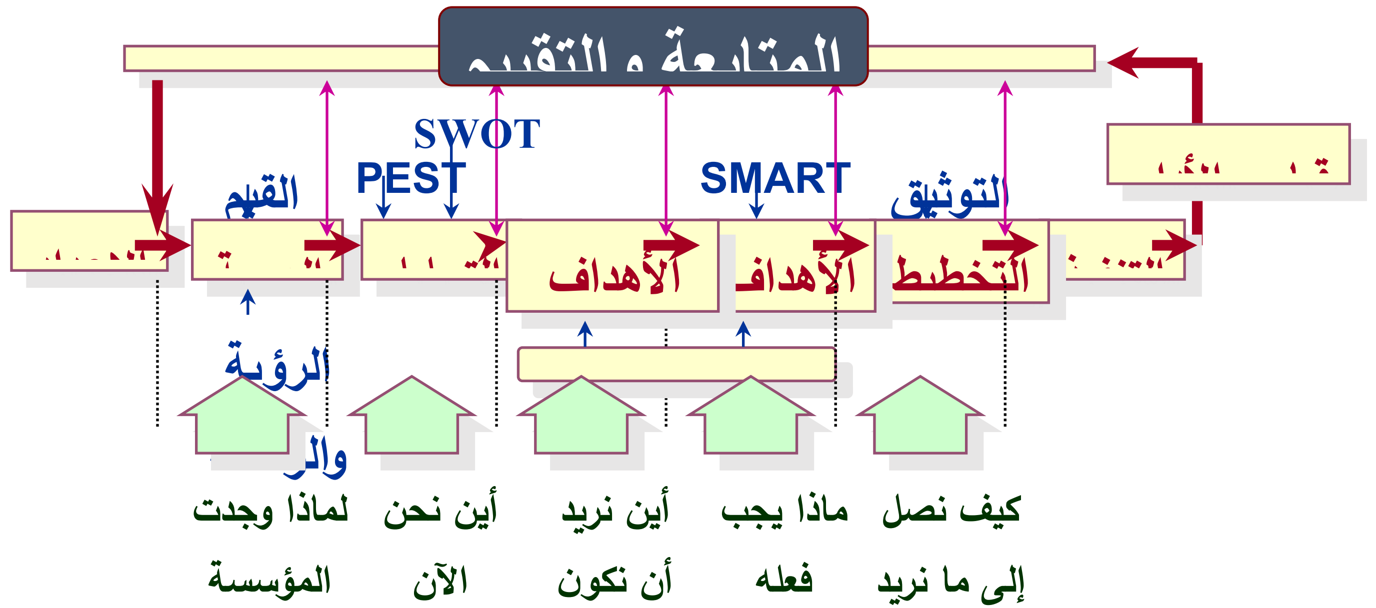
11- تخطيط يوضع بواسطة مجلس الإدارة (الإدارة العليا) ويغطي فترة طويلة الأجل ويركز على طبيعة عمل المشروع من منتجات ، وعمليات ، وأسواق ، ومستهلكين . كما ينصب على عمليات توزيع الموارد ، والتكامل بين إدارات المشروع ، والتغير في شكل التنظيم . **(التخطيط الاستراتيجي الكلي)**

12- مسؤول عن التخطيط الاستراتيجي الكلي ، ويحدد التحركات الرئيسية للمنظمة وفقاً لرؤيتها ورسالتها ووفقاً لتحليلات البيئة **(الإدارة العليا وعلى الأخص مجلس الإدارة)**مسؤولة عن متابعة إنسياب جهود التخطيط الاستراتيجي عبر كل المستويات التنظيمية . **(الإدارةالرئيسية)**

الافتراضات الأساسية للخطة الاستراتيجية

تقوم خطة المبادرة الاستراتيجية على مجموعة من الافتراضات الأساسية التي يمكن إيجازها بالاتي:

- تطوير الخطة بصورة شمولية تحقق التوازن بين احتياجات الأطراف المعنية بمجال السلامة والصحة المهنية، واحتياجات التنمية المستدامة بالمجتمع.
- بناء الخطة على الدراسة الذاتية للمبادرة واستخدام تحليل (SWOT) لتحديد نقاط القوة والضعف الداخلية، والفرص والتهديدات الخارجية.
- المقارنة المرجعية لتحديد احتياجات التحسين لسد الفجوة بين الأداء الفعلي والاهداف المنشودة.
- نشر ثقافة الجودة والتميز في الأداء من أجل تحسين البيئة التدريبية والبحثية والاستشارية بالمبادرة وتوفير القوة الدافعة لتنفيذ الخطة بكفاءة وفاعلية.
- وضع برامج وخطط متوازنة ذات رؤى مستقبلية لتحسين أنشطة المبادرة.
- تمتع جميع العاملين على كافة المستويات بالحق في المشاركة والمسئولية.
- وضع مقاييس واضحة للأداء.
- المتابعة المستمرة لتنفيذ الخطة الاستراتيجية والخطط التنفيذية لعمليات التطوير والتحسين.
- التقييم الدوري من خلال مجموعة استشارية داخلية وخارجية.
- نشر نتائج المتابعة والتقييم مع مراجعة نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات الخارجية



القسم الثالث : الاستراتيجية والعلاقات الدولية

ان الحديث عن الاستراتيجية والعلاقات الدولية لهو امر في غاية الصعوبة في محل ، ويعد من الامور الصعبة جداً لغير المختصين في العلوم السياسية والاستراتيجية والدراسات الدولية ، وذلك بسبب الكمية الهائلة من المفاهيم المتداخلة ما بين الحقلين العلميين الأكاديميين والذي يدفع الحقلين الى التجادل المفاهيمي بحيث اصبح كل حقل منهم مستقلاً بذاته ، ولكن على الرغم من هذا التداخل الكبير بين الحقلين يوجد هناك فسحات للالتقاء والتفاعل الفكري الاكاديمي يدفع الى تطوير الحقلين معاً ، ويزيد من اواصر الترابط بين المصطلحين ويؤكد على ان حقل الاستراتيجية هو الاشمل والاعم و تتفرع منه كافة الحقول الاخرى كالعلاقات الدولية والتي تعد المحور الرئيسي لهذا الطرح .

وفيما يتعلق بمصطلحِ الإستراتيجية حيث اصبح مصطلحاَ سارياً و مألوفاَ ومشاعاَ تعودنا كثيراً أن نسمعه في حياتنا اليومية ، ونقرأه في الكثير من الادبيات الاكاديمية ، وانتشرهذا المصطلحِ في

جميعِ مفاصل الحياة العلمية والعملية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والمعلوماتية والتجارية والصناعية ... الخ ، حيث امتد استخدامه إلى الأشخاص والأماكن والمواقعِ والأفكار والمفاهيمِ والإمكانات مثل ، هذا الانسان يملك رؤى إستراتيجية وهذا الموقع إستراتيجي ، وهذه فكرة إستراتيجية وهذا التصرف استراتيجي ، وهذا التحرك استراتيجي ، والدولة (a) لديها قدرات موظفة (طرق حل) إستراتيجية ، والدولة (b) لديها دور إستراتيجي في المنطقة الفلانية . والكثير من المستخدمين والمستهلكين لهذا المصطلح الرنان والبراق والذي يضفي لمستخدمه بعد نفسي كبير حين استخدامه بحيث يشعره بأنه ينطق بكلمات لها ابعاد غامضة تجاه الشخص المتلقي ولكن الكثير لا يدركون بعده العلمي والمعرفي الهام ومفهومه الأساس ، وعلى هذا الاساس لن نقدم شرح لمفهوم العلاقات الدولية والاستراتيجية لانها اشبعت بحثاً ، ولكن سوف نكتفي بالتطرق الى مجال العمل والشمول والعمق التاريخي لكلى المفهومين وسوف نبدأ بالعلاقات الدولية .

- تاريخ استخدام مصطلح العلاقات الدولية : استخدمت كلمة دولية (International) لأول مرة (من قبل جرمي بنثام) في الجزء الأخيرة من القرن الثامن عشر (بالرغم ان ما يناظرها في اللغة اللاتينية قد استخدم من قبل ريجاد زوك قبل قرن من ذلك) وقد استخدم الناس هذه الكلمة لتعريف فرع القانون الذي أخذ يطلق عليه "قانون الأمم" أو "قانون الشعوب" وهو اصطلاح للقانون الروماني يشير إلى المبادئ التي كان يطبقها الرومان في القضايا التي تتضمن علاقات مع أجانب.. ثم استخدم المصطلح بعد ذلك من قبل أولئك الذين درسوا الروابط الدولية تحت الإطار القانوني فقط ، وكان رجال القانون يسعون إلى تحديد مضمون القواعد الواجبة التطبيق بين اللاعبين في المسرح الدولي والعمل على ترجمتها إلى الواقع والتحقق من تطبيقها ، إن مصطلح (International) استخدم بوصفه حاجة حقيقية لتعريف العلاقات الرسمية بين الملوك، وربما تعد كلمة بين الدول (Interstates) أكثر دقة في تعبير الدولية لأن مصطلح الدولة في العلوم السياسية هو المصطلح الذي ينطبق على مثل هذه المجتمعات ، إن الدراسة العلمية للعلاقات الدولية تنطوي على دراسة الظواهر الدولية بشكل موضوعي وشامل وإلقاء الضوء على الأسباب والعوامل المحددة لتطورها والعمل على تطوير نظرية منها. انها تعني ايجاد "انتظام" أو

"ثوابت" أو "قوانين" بالمعنى الذي ذهب إليه مونتسكيو، أي ايجاد روابط ضرورية تشتق من طبيعة الأشياء ولفترة طويلة استخدم مصطلح الدولية للاشارة إلى العلاقات بين الدول فقط، في وقت لم تكن العلاقات الدولية تعني سوى العلاقات بين الدول. ولا شك انها نظرة قاصرة لجوهر العلاقات الدولية الذي يعكس اليوم ساحة واسعة ومتشابكة من التفاعلات بين كيانات عديدة ومختلفة الطبيعة .(*)

- تاريخ استخدام مصطلح الاستراتيجية : ظهرت بواكير المؤلفات في هذا المجال قبل أكثر من عشرين قرنا على يد بعض العسكريين الصينيين تلتها مؤلفات أخرى لعسكريين ومفكرين اغريق ورومان وعرب وأوروبيين تناولت جميعها بعض المفاهيم والمبادئ الأساسية والتفصيلية للحر، مما نتج عنه نشوء فرع جديد من فروع المعرفة الإنسانية اصطلح على تسميته (الفن العسكري) أو (الفن الحربي) ، ولكن على الرغم من ولادة الإستراتيجية كمفهوم في المجال العسكري والحربي الا انها استطاعت ان تكون لها مفهوم جامع بفعل التطورات الكبيرة التي حدثت في المجتمعات واساليب الحروب وادارة الدول خصوصاً بعد تطور المجتمعات وتطور طبيعة الحياة وزيادة المتطلبات البشرية، وحصول الترابط بين الحرب من جهة وبين السياسة والمجتمع من جهة أخرى ، قد نقل مفهوم الإستراتيجية جزئياً من ميدان الحرب إلى ميدان السياسة ، بحيث أصبحت الفعل العسكري هو احد ادوات الإستراتيجية ويعد احد تفرعاتها الكثيرة الى جانب السياسة والاقتصاد وغيرها من الادوات التي سخرتها الاستراتيجية لكي تحقق غاياتها .

ان القفزة الكونية التي حدثت بشتى المجالات ، ومنذ فترة ليس بقصيرة (قرن من الزمان) ادخلت الاستراتيجية في جميع مفاصل الحياة ، ولما أصبحت الحرب في القرن العشرين حرب الأمة والشعب بسبب ما أملته الحرب العالمية الاولى و الثانية من تطورات تقنية في منظومات السلاح وولادة السلاح النووي ، وما أملته الحرب الباردة ، وما بعدها من احداث وبروز دور

حركات التحرر في العالم من تأكيد اعتمادية الحرب على موارد الأمة وإمكاناتها ، أضحت الإستراتيجية كذلك إستراتيجية شاملة باستخداماتها لموارد الأمة كافة وشاملة في أهدافها لتحقيق طموحات الأمة فتنادى المعنيون يؤكدون هذه الحقيقة مسبغين على الإستراتيجية مفهوم الإستراتيجية الشاملة بحيث خرجت الاستراتيجية من الايادي العسكرية ،ودخلت الاستراتيجية الحقول كافة ووصفة الاستراتيجية بالشمول هي من اهم المميزات التي تنفرد بين الاستراتيجية عن العلاقات الدولية .

حيث كثر الجدل ومنذ فترة ليست بقصيرة حول حقل الاستراتيجية والعلاقات الدولية والطبيعة الشمولية لكلى المفهومين ، لدرجة صار البعض يتحدث عن ان العلاقات الدولية تعد الاشمل من الاستراتيجية ، بل انه يعد الاستراتيجية هي جزء من العلاقات الدولية وادة من ادواتها ، ولكن هذا الكلام غير دقيق ومصحوب بعواطف اكثر من انه يسند الى اسس علمية بحيث يبخس من حق الاستراتيجية ، ولا نتحدث عن ذلك بسبب كوني مختص بالاستراتيجية ولكن هذه حقيقة ان الاستراتيجية اشمل واعم من العلاقات الدولية وهذا الكلام مقترن بحقائق تاريخية أهمها :

- ان مفهوم مصطلح الاستراتيجية قد ظهر منذ فترة طويلة جدا كما ذكرنا (حوالي اكثر من عشرين قرن) ، وان كان قد استخدم هذا المفهوم للدلالة على المصطلحات العسكرية والحروب وقيادة المعارك ، الا انه كان هناك مفهوم للاستراتيجية ، بينما العلاقات الدولية لم تظهر كمفهوم الا في نهاية القرن الثامن عشر على لسان جيرمي بنثام - اي ان هناك فارق تاريخي بالظهور بحوالي 18 قرن بين المفهومين - عندما استخدم هذا المصطلح لاول مرة في تلك الفترة ، وعلى الرغم من ان هذا المفهوم لم يأتي الا على يد جيرمي بنثام في نهاية القرن الثامن عشر الا انه كان يستخدم بغير تسمية وهي قانون الامم والشعوب لدى الرومان ، يتفق معظم علماء السياسة على أن العلاقات الدولية (كما تعرف اليوم) نشأت منذ مؤتمر ويستفاليا عام 1648 .

وقد مرت العلاقات الدولية منذ تلك الفترة (معاهدة وستفاليا) الى حد الان بـ (ستة مراحل) سنوردها لغرض توضيح ان الاستراتيجية كمفهوم ظهرت قبل ظهور مفهوم العلاقات الدولية وهذا ما تأكده المراحل التي مرت بها العلاقات الدولية من خلال حقبها التاريخية التالية :

المرحلة الاولى : من معاهدة وستفاليا عام 1648 حتى مؤتمر فينا عام 1815. حيث تميزت هذه المرحلة بان العلاقات الدولية فيها كانت محصورة في تلك العلاقات التي تنشا بين الدول القومية ذات السيادة بحيث لا تشمل أي نوع من الهيئات او الجماعات التي لا تتوافر لها مقومات الدولة وخصائصها مهما كان دورها في المجتمع الدولي.

المرحلة الثانية : من مؤتمر فينا عام 1815 حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. وتميزت هذه المرحلة بتطور العلاقات السياسية الدولية، حيث سُجل تطور نوعي في قرارات المؤتمر والتي انعكست بمجملها في أقرار توازن دولي جديد يأخذ على عاتقة مهمة الأمن والاستقرار في أوربا.

المرحلة الثالثة : من انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1919 حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية. وتميزت ببروز نظام الأمن الجماعي، حيث تبلور هذا المفهوم بإنشاء عصبة الأمم بمقتضى معاهدة فرساي في 28 يونيو 1919.

المرحلة الرابعة : من عام 1945 (انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس منظمة الأمم المتحدة في 26 يونيو 1945) حتى انهيار المنظومة الشيوعية وتفسخ الاتحاد السوفيتي ونهاية أزمة الخليج الثانية 1991، والبعض حدده بعام 1989وذلك بانهيار حائط برلين. وأهم ما يميز هذه المرحلة هو ما يسمى بالحرب الباردة الذي تحول أثناءها النظام الدولي إلى القطبية الثنائية (الولايات المتحدة ولاتحاد السوفيتي)، وفي الفكر الأيديولوجي الصدام بين الشيوعية والرأسمالية.

المرحلة الخامسة : من عام 1992، حتى سبتمبر 2001، وهي الفترة التي أعقبت انهيار المنظومة الشيوعية، وتوحيد ألمانيا الشرقية والغربية، وتفسخ الاتحاد السوفيتي، واندلاع أزمة الخليج الثانية 1990-1991، مما يعني اختفاء احد القطبين و بداية تحول النظام إلى نظام أحادي القطبية باستفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى على هرم السلطة العالمية.
المرحلة السادسة : من الحادي عشر من سبتمبر 2001 حتى اليوم. حيث تميزت هذه المرحلة بقيام حرب شاملة تقودها القوة العظمى على هرم السلطة العالمية (الولايات المتحدة) ضد ما سمي بالإرهاب الدولي. ولقد توضح وتجلى في هذه الفترة استفراد الولايات المتحدة بالتحكم بالنظام العالمي الجديد " New World Order " (**).

وبما ان هذه المراحل متفق عليها من قبل المختصين في العلاقات الدولية فان هذا الكلام يعني ان هناك اسبقية تاريخية في الظهور ، اي ان مفهوم الاستراتيجية ظهرت قبل مفهوم العلاقات الدولية بفترة طويلة فهل من الممكن ان يكون الاقدم (الاستراتيجية) جزء من الاحدث (العلاقات الدولية) اي ان الاستراتيجية قد ظهرت قبل العلاقات الدولية بأشواط ، ودخلت المجالات التطبيقية في الحياة السياسية والعسكرية قبل العلاقات الدولية، على الرغم من ان مفهوم الاستراتيجية قد ظهر ملازماً للمعارك والحروب وادارة وقياة الجيوش في المعارك ، وعلى هذا الاساس اذا ما اردنا ان نضع مقاربة في مجالات العمل والتطبيق والشمول فنلاحظ الأتي :

- مجال العمل والتطبيق : تعمل الاستراتيجية في المجالات كافة منها الداخلية والخارجية والتي تشتمل على الامور السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... الخ ، بحيث اصبح هناك استراتيجية عسكرية واستراتيجية سياسية واستراتيجية اقتصادية واستراتيجية اجتماعية وثقافية اضافةً الى الاستراتيجية العليا الشاملة للدول ، بينما تعمل العلاقات الدولية في الخارج فقط ، على الرغم من ان العلاقات الدولية هي نتاج للشؤون الداخلية ونابعة من الداخل ولكن هي تختص في الخارج فقط ، عكس الاستراتيجية التي تعمل في الداخل والخارج وتشمل كل شي ، فهل من الممكن ان يكون الاشمل جزء من الاصغر .

- وهناك نقطة جداً مهمة يجب ذكرها ان العلاقات الدولية لم تنشأ الا بعد نشوء الدول القومية ، بمعنى ان ظهور الدول القومية في منتصف القرن السابع عشر ، صاحب معه ظهور العلاقات بين الدول وهذه العلاقات تطورت مع تطور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول مما ادى الى ظهور مصطلح العلاقات الدولية على اسس قانونية نظمتها الشرائع التي ولدت بعد معاهدة وستفاليا ، وهذا ما يثبت ان العلاقات الدولية تعد حقلاً حديثاً بالمقارنة مع مصطلح الاستراتيجية الذي يعد تاريخ نشاته تتجاوز العشرين قرن من الآن .

- ويتفرع من ذلك ضرورة التمييز بين الإستراتيجية والسياسة الخارجية والتي هي جزء من العلاقات الدولية والتي تعبر عن الجانب السياسي الرسمي للدولة ، فالسياسة الخارجية كما يعرّف عنها هي مجموعة الأنشطة والتصرفات التي تقوم بها دولة ما إزاء الدول الأخرى بقصد تحقيق أهدافها في ضوء الحدود التي تفرضها قواعد التعامل الدولي وقوة الدولة ، فتحرك السياسة الخارجية - من ضمنها الدبلوماسية والتي هي كلها تنضوي تحت لواء العلاقات الدولية - كأداة من أدوات الإستراتيجية داخل إطار بيئتها الخارجية (الإقليمية والدولية) ، لذلك يرى البعض إن العلاقة بين السياسة الخارجية والإستراتيجية هي كالعلاقة بين الوسيلة والهدف ، بوصف

الإستراتيجية الإطار الغائي الذي يضم الوسيلة السياسية الخارجية .

واخيراً وبعد هذا الطرح الذي تطرقنا اليه لتوضيح المفهومين من حيث الاسبقية التاريخية للمصطلح ، ومن حيث الشمول ومجالات الاستخدام والتطبيق ، نقول ان هذا الفرق يبدو من خلال القراءة للحقلين كجزء من الاختصاص في العلوم السياسية .

نظرية الالعاب في الاستراتيجيا

نظرية الألعاب (Game theory): هي تحليل رياضي لحالات تضارب المصالح بين عدة أطراف، حيث تؤثر قرارات كل طرف على مكاسب باقي الأطراف. الغاية هي تحديد أحسن البدائل المتوفرة لتحصيل أفضل المكاسب بافتراض عقلانية جميع الأطراف. يتمثل حل لعبة ما في تحديد الاستراتيجيات التي على كل الأطراف اتباعها لتصل اللعبة إلى حالة التوازن، وهي الحالة التي لا يمكن فيها لأي طرف أن يحسن مكاسبه بشكل منفرد

على حساب الآخرين. بالرغم من الارتباط الظاهري لنظرية الألعاب بالتالي المعروفة كلعبة الداما وإكس أو البوكر إلا أنها تخوض في معضلات أكثر جدية تتعلق بعلم الاجتماع و الاقتصاد و السياسة والعلوم العسكرية .

1 - البدايات

وضع القالب العام لنظرية الألعاب عالم الرياضيات الفرنسي إميل بورل Emile Borel، الذي كتب أكثر من مقالة عن ألعاب الصدفة ووضع منهجيات للعب. هذا ويعد أبا نظرية الألعاب الحقيقي عالم الرياضيات الهنغاري-الأمريكي جون فون نيومان John von Neuman، الذي أسس عبر سلسلة من المقالات امتدت على مدى عشر سنوات (1930-1920) الإطار الرياضي للنظرية . خلال الحرب العالمية الثانية، كانت معظم الخطط العسكرية ضمن مجال نقل الجنود وإيوائهم الدعم اللوجيستي ومجال الغواصات و الدفاع الجوي مرتبطة بشكل مباشر بنظرية الألعاب. بعد ذلك تطورت نظرية الألعاب كثيراً في بيئة علم الاجتماع وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالفكر الاقتصادي، ومع ذلك تعتبر النظرية فرعاً من فروع الرياضيات.

2 - تمثيل الألعاب

أ - الصيغة العادية :

تصلح الصيغة العادية normal form لتمثيل ألعاب المرة التي يتوجب فيها على الأطراف اللعب في الوقت نفسه . تمثل اللعبة على شكل مصفوفة تبين خيارات كل طرف والمكاسب التي تترتب على كل تشكيلة من الخيارات.

الحالة الأبسط هي حين تكون اللعبة بين طرفين اثنين، فيمكن تمثيلها حينئذ على شكل جدول: الأسطر تحوي خيارات اللاعب الأول، والأعمدة تحوي خيارات اللاعب الثاني. الخلية عند تقاطع كل سطر وعمود تبين مكاسب كل من اللاعبين عندما يلعب الخياران في السطر والعمود . يبين الجدول الصيغة العادية لمعضلة السجين:

	التزام الصمت	***الخيانة***
التزام الصمت	6أشهر/ 6 أشهر	10سنوات/ الحرية
الخيانة	الحرية/ 10 سنوات	5سنوات/ 5 سنوات

ب - الصيغة الموسعة

تصلح الصيغة الموسعة extensive form لتمثيل ألعاب الدور أو الألعاب التكرارية التي يتأخر فيها توزيع المكاسب حتى نهاية الأدوار ويتاح للاعبين فرصة الاطلاع على استراتيجيات خصومهم من خلال الأدوار السابقة. تمثل اللعبة في هذه الصيغة على شكل بيان شجري، كل طبقة منه تمثل دوراً وتحتوي على الخيارات المتاحة لصاحب الدور . في النهاية، تحمل "الأوراق" المكاسب المترتبة على سلسلة الخيارات التي يمثلها "الغصن".

يمكن دوماً تمثيل ألعاب الصيغة الموسعة باستخدام الصيغة العادية، باعتبار أن اللاعبين يختارون آنياً سلاسل من الخيارات حتى نهاية اللعبة، إلا أن هذا يؤدي إلى تضخم المصفوفة بشكل أسي مع عدد الأدوار.

ج - تصنيفات الألعاب

- الألعاب التعاونية
- ألعاب الخصوم Zero-sum games
- الألعاب المتزامنة وألعاب الدور Sequential games
- ألعاب المرة والألعاب التكرارية
- الألعاب المجتمعية Population games

3 - مفاهيم أساسية في نظرية الألعاب

أ - الاستراتيجيات الصافية والاستراتيجيات المختلطة

الاستراتيجية الصافية pure هي اختيار اللاعب لأحد البدائل المتوفرة دوماً. في المقابل، الاستراتيجية المختلطة mixed هي استراتيجية تسمح للاعب بالتنويع عشوائياً بين مجموعة من البدائل وفقاً لتوزيع احتمالي.

ب - الاستراتيجيات المهيمنة

يدعى أحد البدائل المتوفرة للاعب بأنه استراتيجية مهيمنة dominant إذا كانت المكاسب المترتبة عليه تفوق مكاسب الخيارات الأخرى مهما فعل اللاعبون الآخرون. كمثال على هذا، استراتيجية خيانة الشريك في معضلة السجين هي استراتيجية مهيمنة لأنها تؤدي إلى نتائج أفضل سواءً التزم الشريك الصمت أم بادل بالخيانة.

- الرد الأمثل:

تدعى مجموعة الاستراتيجيات التي تؤدي إلى أفضل المكاسب للّاعب إن علم ماذا سيلعب باقي الأطراف بالرد الأمثل best response. لا يفترض في نظرية الألعاب إمكانية معرفة أحد الأطراف لخيارات الآخرين قبل المواجهة، لكن هذا المفهوم أساسي لتعريف توازن ناش.

- توازن ناش:

توازن ناش Nash equilibrium هو حالة من حالات اللعب يتوصل فيها كل الأطراف للعب ردودهم المثلى على بعضهم البعض. ضمن هذا التوازن، تصل اللعبة إلى حالة من الاستقرار يحقق فيها كل اللاعبين أفضل المكاسب المتوفرة لهم، ولا يمكن لأحد منهم أن يحسن من مكاسبه بتغيير خياره فردياً. يعد البحث عن توازن ناش واحداً من أهم أنماط الحلول solution concepts في نظرية الألعاب.